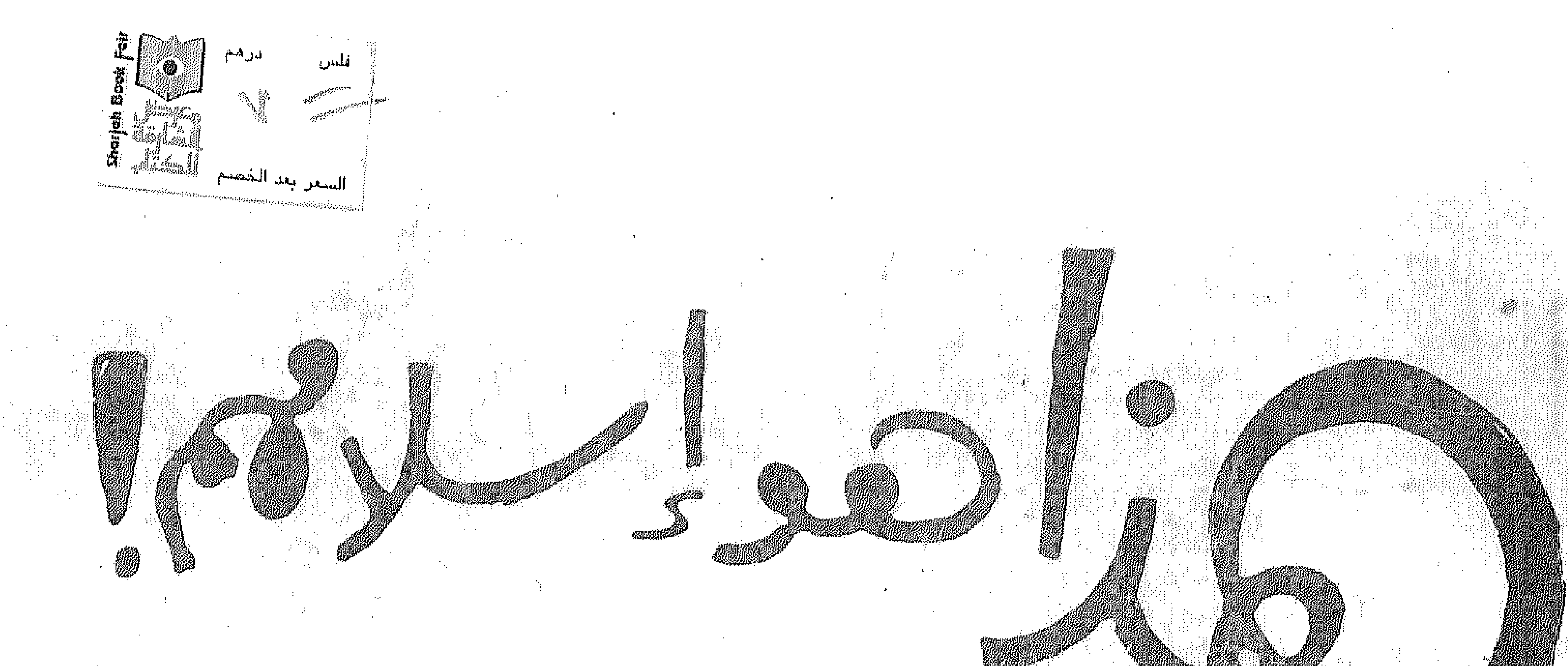


هل هم حقا .
حريصون على الإسلام ؟
والجواب :
- إرفعوا أيديكم
عن الإسلام
فسوف نُسقط
الأقنعة عن
وجوهكم لتبدوا
سافرين ...

(طبعة ثانية مزودة)

تأليف :
سعاد منسى

هذا هو اسلامهم ...!

(طبعة ثانية مُزوَّدة)

تأليف

سعاد منسي

الاهـــداء

الى ذرافات الشبان والشـابات الذين فجعتهم موجات الانحلال والفجـور والمجون ، فهرعوا الى الشكل لعله يغنيهم عن المضـمون ٠٠٠

أقدم هـذا الكتاب ٠٠٠ لعلهم يتفكرون ٠٠ ؟

مقدمة الطبعة الثانية

تسبب تقاعس المسئولين عن الدعوة لجوهر الدين الإسلامى ، وجريهم وراء جدل وسفسطة حول أشكال لا تمت للدين بصلة جاءت من بعض المجتهدين من السلف . وهى ليست فقط بعيدة عن الدين ، بل انها أدت إلى إنفلات بعُدَ بالجميع عن مضمون الدين وحوّل الجماهير إلى حالة من الإنفلات - تحت اسم الدين - تسبب فى أننا رأينا ما أسميه : (البوتيكات !) كل يعرض ويستعرض فى (بوتيكه !) ما شاء له الهوى من خزعبلات وتُرّهات ، وكانت النتيجة طبعا هى تسطيح الفكر الشعبى ... فلم يعُد يعرف ما هو الفرق بين ما هو من الدين وما هو ليس منه ، لدرجة ان نقاشا كان يعمل فى محل مجاور رفع مسجله إلى أعلى الدرجات يذيع هُراء من النظم التافه الذى انتشر سنوات الإنفتاح مصحوب بموسيقى مزعجة للتجارة الرخيصة الغير محكومة بعلم أو رقابة ، فلما ذهبت لأرجوه بخفض الصوت وجادلته فى الأمر ... إذا به يفاجئنى قائلا : « ده كـــلام ربنـــا ... ! »

ولنفس هذا السبب - الجهل - حدث لبعض موزعى الطبعة الأولى من أصحاب الأكشاك ، ذعر وغضب ، إذ أفهمهم بعض المدسوسين ... أن هذا الكتاب ورسمه الخارجى يدعوان لمحاربة الدين !! ..

هكذا وصل الأمر بالجهل المنتشر فى البلاد ضد الدعوات التصحيحية ، والتى تحارب الخزعبلات الدخيلة ... فالرسم الذى على الغلاف هو لرجل يدّعى التدين ، يحمل فى يده (شومة) كبيرة ضخمة مكتوب عليها : «الموعظة الحسنة» والمقصود بالرسم هو سخرية من سوء استعمالهم لمعنى الدين الحنيف ، لدرجة ان «الموعظة الحسنة» تحولت فى

عقولهم وأيديهم إلى (شومة!) تضرب الناس ... أى إلى عكس المقصود من الآية الكريمة !! وكان هذا التصرف الذى استغلوا فيه اسم الدين سببا لدفع باعة الأكشاك لعدم التعاطف مع الكتاب إعتقادا منهم وتصديقا لمقولة انه يحارب الدين !! وكان الهدف هو حجب ما فى الكتاب من أمثلة للإنحراف باسم الدين عن القراء وتخويف الباعة من أنهم يأثمون بعرضه للبيع ؟!

وأرجو ألا يعجب القارئ الكريم إذا كشفت له ، بل ولكل المسئولين عن الإعلام والثقافة فى مصر ، أن أصابع هؤلاء - وأرجو أن أضع خطا عريضا تحت كلمة هؤلاء ... - قد استشرى خطرها حتى وصل إلى عديد من المطابع حتى التى يسمونها (تقدمية) دون علم من أصحاب هذه المطابع ومديريها ... بينما لا أحد يفطن إلى عمل هذه الأصابع أو مصادر تحريكها ... (١)

لقد وصل الأمر إلى إحداث تشويهات فى (الاكليشهات) وهى القطع التى تنقل عليها الصور لطبعها إذ عبثوا ببعضها فى عمليات الحفر كى لا تؤدى الأثر المطلوب منها ... وسوف يلاحظ القارئ ذلك فى الصور الموجودة بالداخل ، لأنها هى نفسها التى كانت بالطبعة الأولى ولم اتمكن من تصويرها من جديد لهذه الطبعة ، لأن بعضهم سارع بتغيير المعالم التى صورتها وتحدثت عنها بمجرد إطلاعهم على الكتاب فى طبعته الأولى ... !

أما رسم الغلاف والكتابة المجاورة له فلا أشغل القارئ بها لأنها

(١) هذه الأصابع لا تتسلل لضرب الدين فقط ، بل أهدافها شاملة جامعة ... يأتى الحديث عنها تفصيلا فى كتب أخرى بإسهاب وتفصيل .

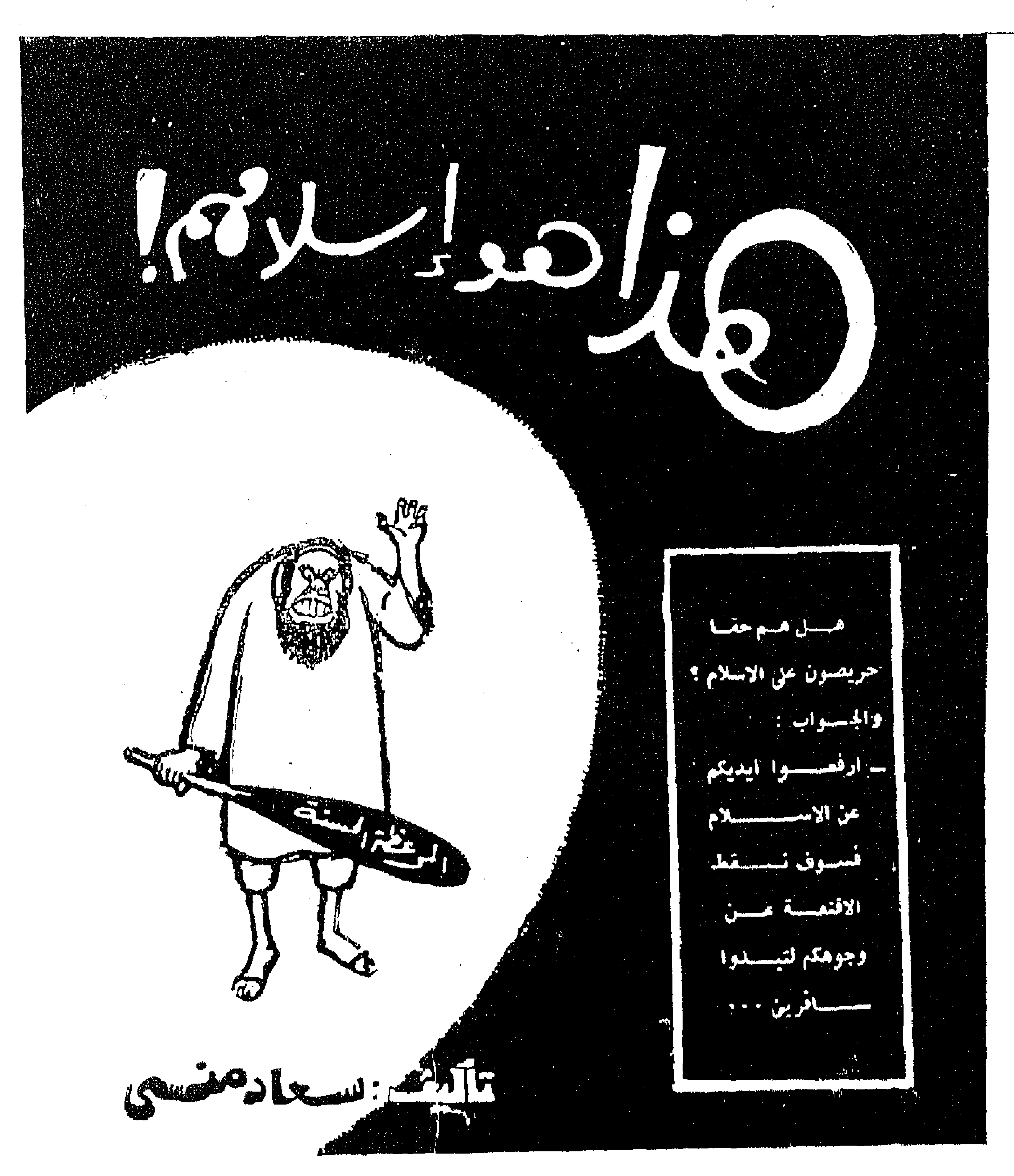
أمور فنية دقيقة ، لكنها أدت إلى إضعاف المعانى المستهدفة وتأثيرها ، وقد قضيت ما يزيد على الاسبوع فقط لإصلاح نقطة هنا أزيلت أو ضمة أو فتحة طمست وتركت الباقى بعيوبه اذ لم أتمكن من إعادة العمل والتكاليف مرة أخرى ...

ولأن الدار هي دار قومية وطنية ، ولها فى نفسى معزة وتقدير ، فقد قاومت رغبة ملحة فى رفع قضية تعويض واكتفيت بالدراسة التى اضفتها الى ما عندى من معلومات عملا بالقول : (ورب ضارة نافعة)

وإنى قد وضعت نصوص الطبعة الأولى كما هى ، ليس فقط حتى لا أكرر نفسى مكتفية بإضافة الجديد الذى طرأ واحتاج إلى إضافة ، بل أيضا لسبب آخر حتمى ، وهو الأمانة التاريخية ، فعندما أقدم الكتاب فى طبعة ثانية ، ليس من حقى ولا يجوز لى أن أعبث بمضمونه أو أعدل فيه ، وإنما يجوز لى الإضافة والتعليق وليس التبديل والتغيير وحتى إن أردت تعديلا لقول جاء فى الطبعة فأيضا بالإضافة وليس بمحو أو إلغاء ما جاء بالطبعة الأولى .

ولعلى أكون قد أسهمت - فى الطبعة الأولى ثم بما أضفت فى الطبعة الثانية - فى رفع الأقنعة الزائفة التى نثروها على وجه الدين العظيم ، لمرض فى النفس ، أو غرض دنيوى ... وليس لإصلاح دينى ... ؟

هذه هى صفحة الغلاف بالطبعة الأولى التى أثارت الذعر عند بعض الباعة بالأكشاك لعدم معرفتهم بالحقائق ، أو بالمقصود من الرسم ، بل ويااللحسرة والألم ، فإن بعض القراء - أيضا - قد أساؤا تفسيرها ...؟! ولا عجب ، فنحن لم نعد نعانى - فقط - من أمية الأميين ... بل اننا أصبحنا نعانى من أمية بعض ، أو قل ، أغلب المتعلمين ... !!



مقدمة

قد يبدو للبعض غريبا ان اكتب عن الاسلام ، بينما لم تظهر فى كتبى القريبه سمات الكتابة الاسلاميه ٠٠٠ وحاشاى ان ادعى اننى اكتب فى الاسلام كفقه ، فهو بحر ذاخر له أهله المتخصصون من رجالات الدين وعلمائه ٠٠٠

أما اذا خرجت عن حدود التخصص والتفقه ، فانها ليست المرة الأولى التى اكتب فيما له صلة بالاسلام ورأى الاسلام بالنسبة لما يتعلق بالممارسات الاجتماعية والسلوكية عامة ، وفيما له صلة بوضع المرأة فى الدين خاصة ، حتى اننى إفردت بابا فى ثانى كتبى الذى صدر حوالى عام ١٩٥١ تحت اسم : « المرأة فى الميزان » وهو أحد أبواب ستة اشتمل عليها الكتاب تحدثت فيه عن بعض ما يشاع خطأ عن وضع المرأة فى الاسلام وعن الآراء الفاسدة والأكاذيب باسم الاسلام على حين أكرم الاسلام المرأة وكرمها ٠٠٠

ولكننى مع تقدم الخبرة والدراسة تكشف لى الكثير مما لم أكن أعرفه فى مستهل حياتى ٠٠٠ وتبينت الكثير من العبث والأباطيل والحيل التى مورست باسم الاسلام متبعين فيها اسلوب : « ولا تقربوا الصلاة ٠٠٠ » حتى وصل الأمر أن أبرزوا الاسلام وصورته أمام الأجانب بصورة مخلة بعيدة عن حقيقته اما لأغراضهم الشخصية ، واما لجهل وعدم علم ،

وانقلبوا يدافعون عن أخطائهم على أساس أنها فى صلب الاسلام ومقصده ··· والأغلبية الساحقة من الأجانب يعتمدون على النقل والسماع لأنهم لا يعرفون اللغة العربية وحتى ان عرفوها فهم لم يدرسوا القرآن اللهم الا القلة النادرة فى العالم كله ممن يدرسون ويتقصون معانيه ومراميه ·

وما يسرى على الأجانب يسرى على الغالبية من الجماهير التى تصدق ما نتشدق به نحن فئة المثقفين ، فبعضنا يغالط عن غرض فى النفس وبعضنا يخطىء عن قصور فى العلم والتقصى وأغلب الذين يغالطون يقدمون آيات صحيحة ولذا تصدقهم الجماهير الغير دارسة دون علم بأن الآية رغم صحتها فانها مبتورة عن آية سبقتها أو آية لحقتها بحيث تبدو بغير المعنى المتكامل وهنا يعبث من يريد بعقول البسطاء ···

كنت أشعر بالغليان وأنا أتابع هذا التحريف المخل سواء بالنسبة للقضايا الاجتماعية أو القضايا الأسرية خاصة فيما يتعلق بالزواج ومعانيه وأهدافه ··· ولما وصل الأمر أخيرا الى ما نحن فيه من ضجة ولغط بسبب الذين « قتلوا القتيل ثم ساروا فى جنازته » كما يقول المثل ··· ولما طفح الكيل ونفذ الصبر من ممارسات فرد الأذرع واستعراض العضلات ولبس الأقنعة باسم الاسلام ، حتى لقد أصبح مشجبا يعلق عليه كل صاحب غرض ما يريد ويهوى من أكاذيب وألاعيب ، معتمدا على جهل الأغلبية الساحقة من الشعب بحقائق النصوص الكاملة غير المبتورة ومصادرها وأزمانها ومراميها ، ومعتمدا على عجزهم الذى سببه عدم التخصص أو التفرغ للبحث والوصول الى مواطن التحريف أو البتر والكشف عنه ، فساروا

خلفهم مدفوعين بالحماس العاطفي والايمـان بالدين ، ظننا منهم أنهم ينفذون ما جاء بكتاب الله الكريم وما أمرهم به ...

ورغم أنني كنت بصدد اتمام أكثر من كتـاب آخر وكان ترتيب هذا الكتاب يأتي بعد غيره في الاصدار ، الا أنني وقد طفح الكيل — كما أسلفت — عدلت عن تأخيره ، وتغاضيت — مؤقتا — عن الأولويات الأخرى ، مقررة أن أساهم فى انتزاع بعض الأقنعة التى يتستر خلفها كل ذى غرض ... لأقول مع القائلين :

خسئتم ، وارفعـوا أيديكم عن الاسـلام ولا تتخذوه سـتارا ...

كان لابد من المشاركة فى ازالة الطين عن الماسة الثمينة ، حتى يتكوم الطين فى ناحية ، وتظهر الماسة الثمينة وتبدو على حقيقتها مظهرا وجوهرا فى آن ...

ما هى الدولة الدينية ؟

قبل ان نناقش حقيقة هـذه النداءات التى تعلو بين وقت وآخر ، وقبل ان نناقش لماذا يرفعون تلك النداءات ؟ واذا كان هناك ما يدفع للغضب والغيرة على الدين فعـلا ، فلماذا حدث ذلك ؟ ومن هـو المسئول عنـه ؟ ومن أين يبـدأ الاصـلاح والتصحيح ؟ .

قبل كل هذا يجب أن نناقش اولا صلب الموضوع وعنوانه ... لنعرف ونعرف اولا ما هى الدولة الدينية ؟ وهل الدولة الدينية هى الطريق الى الحـل ؟ وهل تعبير الدولة الدينية يعد تعبيرا صحيحا عن الاسلام ؟ وهل الدول التى قامت وإقامت حكما على إساس هذه التسمية : دولة دينية ، طبقت الاسـلام فعلا ؟ وهل رفع شـعار الدين كشريعة رسمية كاملة ، حفظ الدولة من الزلل ، وحفظ الدين من العبث باسمه ؟

كل هذه أسئلة يجب الاجابة عليها ، ولكنى لن أدخل فى تفاصيلها ، لأننا جميعا نعرف ، والعالم كله معنا يعرف ، ماذا فعل الذين استعملوا كلمة اقامة دولة دينية ، أو الذين أقاموها فعـلا .

فلسنا بحاجة للحديث عما فعل النميرى فى السـودان باسم الدين وباسم تطبيق الشريعة ... ولسنا بحاجة للحديث عما حدث فى ايران تحت اسـم : الشريعة الاسـلامية ... ولكنى سـأتحدث عن المغالطـة اللفظية التى تلعب بعـواطف المتدينين وعقولهم . وفى هذا القليل من الكشف والتوضيح ،

ما يغنى عن الدخول فى تفاصيل ما حدث فى دولة هنا ، أو دولة هناك ...

المغالطة اللفظية هى تصوير رفض كلمة : « الدولة الدينية » بأنها تعنى الخروج على الاسلام والكفر به ! وهذه هى النقطة التى يلعب بها أى متطرف ، أو جماعة متطرفة ، على العقول والعواطف معا ، بمعنى انه أو أنهم ، هم المسلمون المأمنون ، وغيرهم كفرة لا يدينون أو لا يؤمنون بالاسلام ؟ مع ان الذين يرفضون ما يتقدم به هم أكثر منه اسلاما ، وأعمق منه فهما للاسلام ، ولكن المغالطة اللفظية لعبة ظريفة يلقون بها فى وجه من يريدون ! .

ان الاسلام مظهر وجوهر ، أو شكل وموضوع . فالشكل هو الفرائض وعددها وشعائرها ، أما الموضوع او الجوهر فهو ليس شكلا ينفذه الجميع كالسجود والقيام أو الحج أو العمرة مثلا .. بل هو مضمون ينفذه البشر بدرجات متفاوتة حسب قدراتهم على الاستيعاب وتعمقهم فى مضمونه وجوهره ويقوم العلماء والفقهاء والأئمة بمساعدة كل من لا يملك القدرة العلمية على الغوص فى كنوزه بنفسه ليستخرجها مستوعبا لها مسترشدا بها .

أى أن الاسلام ـ بالنسبة للجوهر والمضمون ـ قد وضع لنا الأطر ، وترك لنا الاجتهاد فى الدنيا فى حدود هذه الأطر . ومن يقول بغير ذلك فانما ينكر وجود الاجتهاد ، وينكر ضمننا المذاهب الأربعة ، وينكر الخلافات التى قامت حول الاجتهاد والتصويب ... بل ... وينكر ما هو أهم من ذلك وأخطر ..

ينكر ما قام به الرسول الكريم ذاته من اجتهـــاد ••• فلو ان مضمون الاسلام مرسوم بتفاصيل محددة مثل عـــدد الركعات أو أى شكل من أشكال الفرائض المعروفة ، لما كانت هناك حاجة للاجتماع بالرسول ، وسؤاله فى أمور الدنيا والدين ، ولما كانت هناك الأحاديث النبـــوية الشريفة ••• واستفتائه فى ســـائر المواضيع الدنيوية من الناحية الدينية ••• ولماذا الاجتهاد اذن اذا كان الدين وشريعته نصوص جامدة مرســـــومة ، وليست بحاجة الى من يســـتخرج كنـــوزها الدفينة ومعانيها العميقة وأحكامها ؟ •

لا يوجد فى حقيقة الأمر ما يسمى بدولة دينية أو حكما اسلاميا ، وانما هناك دولة تستمد حكمها من الاسلام • أى أن هناك دولة حكمها يتطابق مع الشريعة الاسلامية ولا يختلف معها •

وبما أن الاســـلام وضع أطر المضمون والجوهر ، فعلينا أن ننظر أولا : هل أنكرت دولتنا الاسلام وكفرت به ؟ بالقطع لا ، بل وأنها تعلن ان دين الدولة الرسمى هو الاســـلام ••• اذن فالمطلوب فى وضوح لا يقبل اللبس أو التكفير ، هو البحث فى قوانيننا وتصحيح ما قد يوجـــد بها من مواد تتعارض مع الاسلام ـ ان وجدت ـ وهذا هو الطـــريق الصحيح بغير لف ولا دوران •••

ان المغالطة اللفظية بدلا من ان تشير بشـــكل مباشر الى ما يجب تصويبه فى حـــدود الاطـــار الذى نؤمن به جميعا ، والذى هو شعار دولتنا فعلا دون احتياج لتصريح منهم يرفع عنا صـــفة التكفير ، انما خرجت عن الموضـــــوع الذى يجب

الاختلاف عليه فعلا ، وأرادت أن تقلب المائدة كلها بحجة تكفيرنا ، لغرض فى نفس يعقوب ، واتخذوا لأنفسهم صفة الالوهية ، واستغفر الله من غرور خرج بهم عن الاسلام ، فكفروا هم ، ولسنا نحن الكافرين !!

وامعانا فى تضليل النفوس البريئة المؤمنة بدينها ، روجوا اشاعة فى كل الاوساط التى تتحاور معهم ، أو يتحاورون معها ، بأن القوانين المصرية هى قوانين فرنسية ، وأنها مخالفة للدين الاسلامى • وهذه اشاعة تقفز من فوق رأس التاريخ لتضحك على العقول لأن كل من له صلة بالقوانين والشرائع يعلم أن قصة القوانين الفرنسية هذه قصة قديمة ترجع لأيام غزو نابليون وآخرها قوانين عام ١٨٨٣ وحتى قوانين هذه الحقبة ، كانت القوانين الفرنسية لمجرد الاسترشاد وليست للتطبيق الكامل ••• أما بعد الغاء الامتيازات الأجنبية وتوقيع معاهدة ١٩٣٦ والتى ألغيت بعد ذلك ، فان القوانين المصرية قد أعيد صياغتها بعقول مصرية وعقول اسلامية صميمة • وقد قام بوضعها ، بعد دراسات دقيقة دامت ست سنوات كاملة ، كبار رجال القانون المصريين ، وكبار رجال الفقه والشريعة الاسلامية •

وصدرت فى عام ١٩٤٨ وبدأ تطبيقها فى عام ١٩٤٩ •

هذا بالنسبة للقانون المدنى ، وأما المخالفات المحدودة جدا والتى لا يطبق فيها النص الاسلامى ، فهى فى قانون العقوبات وتكاد تنحصر فيما يتعلق ببعض الحدود وهى معروفة للجميع ولا تحتاج لايضاح • وحتى هذه المخالفات المقتصرة على بعض الحدود ، فكلنا نعلم أنها حتى فى عهد الرسول الكريم لم تكن

تطبق بصورة حرفية أو شـكلية اذ كانت لها مواصفات دقيقة يجب توافرها بالنسبة للرجم مثلا ، ولأن أمرها دقيق ولا تؤخذ بالشبهات ، فقد ندر تطبيقها أو طبقت مرات معدودة وأكثرها بالاعتراف ... وكذلك بالنسبة لعقوبة قطع اليد فقد كانت في التطبيق تستوجب ملابسـات دقيقة ولذا فقد تم اسـتثناء تطبيقها في سنوات القحط والمجاعة ... وهذا ليس موضوعنا للاسـهاب فيـه ، وانما ما يهمنا هنـا هـو دحض الاكاذيب والاشاعات التي لعبت بعقـول وعواطف الشـباب بمقولة ان قوانيننا فرنسية وليست مصرية اسلامية ! .

وقبل أن نغادر هـذا الجزء الايضاحي الهام ، فاني أقدم مثلا بسيطا غاية في البساطة للتدليل على ان العبرة والخـلاف انما هو في التطبيق وليس في المضمون ذاته .

من المعروف ان احدى أسس الاسـلام التاريخية هي وقف الحرب في الشهر الحرام ... وبصرف النظر عن المسئول أو المخطيء في الحرب الدائرة بين دولتين مسـلمتين تستنزفهما بشريا وماديا لحسـاب لا أحد سوى اسرائيل ومن خلفها ... أقول هذا ليس موضوعنا هنا ، لكنني أضرب مثلا عندما وجهت العراق نداء لايران بوقف الحرب بين الطرفين خلال الشـهر الكريم ، وهذا منهج وأساس اسلامي ، فان الدولة التي حكمها اسلاميا صرفا رفضت ولم تنفذ ... وسواء نفذت العراق من طرف واحد ــ وهذا ما أظنه قد حدث ــ أو لم تنفذ ، فان هذا ليس سـؤالنا ...

والسـؤال تحديدا هـو : عندما رفضت ايران ــ الدولة الدينية ــ هذا المطلب الاسـلامي الديني ، هل كان ذلك خطأ

دينيا من دولة غير اســلامية ؟ أم كان خطئا تطبيقيا من دولة اســـــلامية ؟

اذن ، فالحكم الاسلامى ، أو الدولة الاسلامية بقول أصح، لم يمنع التجاوزات الاسلامية العديدة ، وهذا التجاوز كان أحد، أو قل أصغر تجاوزاتها ...

ونختتم هذا الجزء بما سبق أن قلناه وهو انه لا يوجد فى حقيقة الأمر ما يسمى بدولة دينية أو حكما اســلاميا ، وانما هناك دولة تستمد حكمها من الاسلام ، أى أن هناك دولة حكمها يتطابق مع الشريعة الاسلامية ولا يختلف معها .

ضرب رسالة الأزهر من داخله ...

الأزهر ودوره المعاصر .

من سيحكم من ؟

هل تطوير الأزهر هو السبب فى هذا التدهور ؟

ماذا أخرج لنا الأزهر فى ربع قرن ؟

الأزهر وذوره المعاصر

كان للامامة في صدر الاسلام معنى كبيرا ، ورسالة أكبر، اذ كانت تتميز بأن أفرادها عايشوا وعاصروا فترة نزول الوحي على الرسول الكريم ، فضلا عن معايشتهم للرسول نفسه ، فكانوا بذلك قيمة لها وزنها الخاص ، ومصدر ثقة وقدوة صالحة ، ومرجعا يعتمد عليه حين تستعصي الأمور ، بعد وفاة الرسول الكريم .

وحتى الذين جاؤوا من بعدهم ، في عصور تالية ، انما كانوا قلة معدودة ، حملوا مشعل الهدى للناس كخلفاء راشدين وكعلماء أجلاء مما جعل منهم صفوة ذات مواصفات علمية عالية وعدالة نسبية بعيدة عن الهوى ...

ومع ذلك ، ورغم ذلك ، فلم يدعي أحدهم بأنه معصوم من الخطأ ، بل طالبوا بردهم اذا أخطأوا ... وحتى القلة التي أصابتها نزعات الهوى ، لم يقل لنا التاريخ بالاستسلام لهم ، بل كان ردهم بمنتهى القسوة فالاسلام ليس ارثا لفرد أو حاكم حتى وان كان من الخلفاء والأئمة السابقين ، لأنهم بشر مثل سائر البشر منهم من يخطيء ويحتاج الى التصويب حتى وان جاء التصويب من أفراد عاديين وليسوا أئمة أو خلفاء ...

ورغم ان الاسلام هو المصدر والمنهج الوحيد الذي يأخذ عنه من عاصروه في حقبته الأولى ، الا ان التفسير قد اختلف شدا وجذبا ، بقصد الحفاظ على معانيه وتنفيذها كسلوك على أحسن صورة مما أدى بهذا الاختلاف في الاجتهاد ، الى وجود

مذاهب أربعة كل يخالف الآخر في وسائله وطرائقه ، فكان هذا يختار مذهب أحدهم بينما يتبع غيره مذهب الثاني وهكذا ، فقد اختلفوا كأئمة والآخرين اختلفوا كأفراد ، ولم يقل قائل أن الدين الواحد كان مانعا لاختلافهم ٠٠٠ لأنهم اختلفوا على الاجتهاد ولم يختلفوا على المصدر ٠

واذا كان هذا هو شأن الأئمة والخلفاء عندما كانوا قلة محدودة معروفة بوفرة العلم وامتياز المعاصرة ، والتأثر المباشر ، فهل يجوز لنا ان نعتبر الصورة في يومنا هذا واحدة لم تتبدل ؟

بالقطع وباليقين ، فان الصورة تختلف اختلافا بينا اليوم ، فلم تعد لكلمة الامام — بالضرورة — نفس المعنى العلمى الذى كان للسلف المعاصر للرسالة والجيل الذى أعقبه من العلماء ٠٠٠

لقد تعددت الدول واتسعت رقعة الأرض وتزايد عدد سكانها من عدة آلاف لعدة ملايين ثم الى مليارات وهكذا فقد تطور المسجد أيضا بعد ان كان افتراشا للغبراء الى مكان مسقوف الى عدة أماكن (أى مساجد) ثم من عشرات المساجد الى مئاتها ثم آلافها ٠٠٠ وهكذا أصبح كل مسجد يحتاج الى امام ، أى الى رجل يؤم المصلين ٠٠٠ وهنا اختلف المعنى والمبنى ، وخرجت الكلمة عن معناها المحدود حيث كان الامام العالم المتفرد بصفات تؤهله ٠٠٠ وهذه الصفات التى كانت تولد معه ٠٠٠ بالسليقة وبالبيئة وبالتحصيل كل فى وحدة متكاملة ، أصبحت اليوم شيئا آخر ٠٠٠ هى ضرورة احصائية مظهرية ، الى جانب انها ضرورة دينية ٠٠٠ بدليل أنه فى كثير

من الأحيان يحدث أن يؤم المصلين فى مكان ما فى العراء مثلا أمي غير متعلم لمجرد أنه أكبر الموجودين سنا • أو زاوية صغيرة يقوم خادم بخدمتها كنسا ورشا ثم يصبح بحكم العادة وعندما يؤمها الناس للصلاة فيها ، اذا به تطوعا يؤمهم أيضا ، أى يقيم من نفسه اماما يتصدرهم للصلاة حتي وان كان لا يؤمهم فى صلاة الجمعة لصغر المكان أو عدم شهرته وحتى ان كان نتيجة لذلك لا يقوم بخطبة الجمعة ، الا أنه من ناحية الشكل قد أصبح اماما أى يؤم المصلين •••

وهكذا فقد أصبح هناك فى عصرنا الحديث نوعان من الأئمة : امام حقيقي وهو العالم الذى عندما نذكره نقف اجلالا أمام كلمة الامام كما نقول مثلا الامام الشيخ محمد عبده •••

والنوع الآخر وهو ليس بالضرورة عالما وانما هو بالضرورة يؤم بعض الناس وقد يكون بين هذا النوع الأخير من هو منافق أو أمي أو جاهل بالاسلام ولكن ظروف شكلية محض وضعته فى هذا الموقف •••

وهنا لابد من وقفة لتبين الفروق الشاسعة بين الامامتين :

امامة ضرورة بغير رسالة •

وامامة رسالة بغير ضرورة •

اذ لابد لكل من المساجد التى أصبحت تعد بالآلاف من رجال لامامة المصلين والقاء خطبة الجمعة • وهؤلاء رغم أنهم يتخرجون من دراسات أو معاهد أزهرية ولهم دراية وعلم لكن مع امتداد واشتداد الحاجة العددية لم يعد الاختيار بعد المعلومات التى حصلوا عليها ــ وان كانت بشهادة يؤكد لنا

بالضرورة ان كلا منهم عالما اسلاميا شكلا وموضوعا اذ كما قلنا هي ضرورة عددية لابد من استيفائها وهذا يوضح لنا ان المعنى المعاصر ليس بالضرورة حاملا للمعنى السلفى فنحن نصنع علماء لتغطية الأعداد المطلوبة للمساجد والتدريس في المدارس والمعاهد الأزهرية فضلا عن الكليات وهكذا أصبح الكم يحكمنا قبل الكيف وليس كل دارس في حالة صلاحية لقيادة المسلمين ، أى توجيههم للصالح من دينهم ودنياهم وتوصيل الرسالة الالهية لعقولهم وقلوبهم معا ...

ونخرج من هذا الايضاح والمقارنة الموضوعية القائمة فعلا بسؤال : اذا لم يكن هناك معصومون في عصر نزول الرسالة وفي أعقابها مباشرة فهل يستطيع أحدنا ـ وبعد ما قلناه ـ أن يدعي اليوم عصمة ؟ ان كل من تخصص وكل من اجتهد وبحث وقرأ ، يمكنه أن يعارض ويصوب ما جاء به غيره ـ بدرجات متفاوتة ـ ولسنا أحسن أو أعظم أو أكثر عصمة ممن كانوا في عصر الرسالة نفسها ...

أما الذين نستمع اليهم وننحنى لهم ، اجلالا فهم المبرزون الذين عاشوا بالعلم وللعلم ، وجعلوه مع الدين محرابهم . وهؤلاء قلة مثل الشيخ الامام محمد عبده كما سبق ان ذكرت ومن في مستواه أو أكثر منه ...

ولا جدال في أن الجامعة الأزهرية هى جهة الاختصاص الوحيدة التى تصدر لنا وللعالم الاسلامى قاطبة ، الكفاءات الاسلامية على الأقل خلال الألف عام الأخيرة ... وهى الجهة التي سميت بالأزهر الشريف لعظم وأهمية الدور الذى تقوم به في توصيل رسالة الاسلام ، لا أقول فى مصر والعالم العربى

فحسب ، بل في العديد من بقاع الأرض التى تدين بالاسلام شرقا وغربا ... ولا جدال – أيضا – فى أنها تمدنا – تمشيا مع حاجة العصر العددية – بأعداد هائلة منها المبرزون الذين يخرج من بينهم الموجهون وحملة المشاعل ، ومنهم العاديون أى الذين يملأون الفراغ المطلوب فحسب ... ومنهم من هو منسوب عن طريق القدر وحده – على جماعة الموجهين وهم ربما يحتاجون أنفسهم الى التوجيه ...

ولما كنا قد اتفقنا : بادىء ذى بدء ، على أن البشر ليسوا معصومين عن الخطأ فى كل العصور حتى فى أزهى عصور الرسالة أثناء هبوطها وفى اعقابها ، وحتى المبرزون منهم لم تعصمهم درجاتهم ومستوياتهم المتميزة عن الخطأ ، فاننا نعترف بأن خريجى الأزهر لن يكونوا بالضرورة ملائكة منزهين عن الخطأ لمجرد أنهم تخرجوا منه فحسب ، فهم بشر مثلنا ... ولسنا بحاجة الى سرد ما نعلمه جميعا مما حدث ويحدث من وجود منافقين من بينهم ، أو متزلفين ، بل وأحيانا منحرفين .. كما أن ليس ببعيد ما عرفناه جميعا عن الذين أرادوا – والعياذ بالله – نسبة فاروق ، الملك السابق لرسول الاسلام ، تمهيدا وترويجا لتنصيبه – والعياذ بالله مرة أخرى – خليفة للمسلمين ؟!! .

ان الأمثلة موجودة فى كل عصر وفى كل حين لا جدال فى ذلك ، ولكن ، نحمد الله أنهم كانوا قلة نادرة مارقة فاسدة ... وكان الشرفاء من رجال الدين وغيرهم واقفين لهم بالمرصاد ، كشفوا أو يكشفوا مقاصدهم ، حتى انطفأوا وتواروا بخزيهم وعارهم ...

وهنا لابد لنا من وقفة طويلة ... طويلة ... لنسأل :
هل استمر الأزهر في أداء رسالته كاملة بصرف النظر عن هذه الحالات الفردية الشاذة التي اتفقنا على انها موجودة في كل زمان ومكان ؟ .

وهل استمر العلم بين أروقته متدفقا كينابيع الماء العذب ينهل منه الناس العلم والمعرفة بالدين الحنيف ، ويأتون اليه من كل صوب وحدب ؟ .

وهل أن ضعاف النفوس والمارقين لا يزالوا قلة كما كانوا ... أو حتى لو كانوا قلة ، فهل ان العلماء حقا ، والثقاة فعلا مازالوا هم الكثرة الغالبة ، أم أنهم هم الذين أصبحوا قلة غالبة ... ؟!

هذا هو السؤال المطروح اليوم للاجابة عليه ... ثم لنسأل بعد ذلك : من يريد أن يحكم من ؟! .

من سيحكم من ؟

اذا كان الاتفاق قد تم أولا على أن الأزهر الشريف هو المنبر والمشعل الوحيد الذى حمل لواء الاسلام وعمل على نشر رسالته ... وانه ـ ومنذ عصور غير قريبة ـ المنبع الوحيد الذى يتدفق منه العلماء الأكفاء الذين يقومون على نشر الرسالة بين الناس ويغرسون معانيها فى نفوسهم ... واذا كان من بديهيات الأمور أن يكون الأزهر ورسالته هما أمانة ووديعة ومسئولية رجال الدين لا سواهم ...

أى أن الأزهر قد وضع الاسلام أمانة بين أيديكم ، وان رسالة نشره والحفاظ عليه جعلت الأزهر ـ فى نفس الوقت ـ أمانة بين أيديكم ..

فهل حملتم الأمانة ، وهل صنتم رسالة أول منارة وأكبرها تشع بنور الهداية ، لا على مصر وحدها ، بل على الأمة العربية جمعاء ، لا بل على كل مسلمى العالم ، تنشر القيم وتعممها فى مشارق الأرض ومغاربها .

هــل فعلتـم ؟

أقول يا لهول الكارثة ... ويا لبشـاعة ما فعلتم ... ويا لكثرة ما فرطتم وأفرطتم ...

ثم ؟ ثم جئتم بعـدها ـ أنتم لا غيركم ـ تلومون البشر جميعا من غير رجال الدين الا كم أنتم ! أى أنكم هدمتم المعبد على من فيه ثم وقفتم تولولون . وتبكون من هم تحت الأنقاض!

أى أنكم كما يقول المثل الشعبي : « قتلتم القتيل ثم سرتم في جنازته !! ».

لقد جعلتم من الأزهر ــ أنتم لا غيركم ــ مفرخة لتخريج الجهل بالدين ، والجهل باللغة العربية وقيمتها وعظمتها ، حتى وصل الأمر بعد جيل أو جيلين من الخريجين ، أن وجدنا من لا يعملون من رسالة الأزهر سوى ورقة للحصول على وظيفة ... أى ورقة تشهد بأنه : خريج ! وهو يجهل القرآن الكريم ويخطىء فى قراءته ناهيك عن معانيه ... ناهيك عن مضمونه وتفسيره ... أما اللغة العربية ، ذلك البحر الزاخر الذى كلما غاص الانسان فى أعماقه استخرج من نفائسه ما لا أول له ولا آخر ... هذه اللغة العظيمة قد أهينت وهلهلت على أيدى أغلب « الخريجين » حتى أصبحت أقرب الى العامية منها الى الفصحى ! تراكيب ركيكة غير مترابطة ...

بل والأدهى من ذلك ، ولا أقول أخطر ، فليس بعد الجهل بالقرآن ولغته العربية فى ساحة الأزهر من خطر أخطر من هذا ، أقول ان الأدهى من ذلك أنهم لم ينفذوا من أوامر دينهم ورسالة اسلامهم ما يمكن ان نسميه بأضعف الايمان . فلا هم تنبهوا ، ولا هم نبهوا ، الى كوارث ومناظر وطقوس انتشرت حتى كادت ان تكون الى الوثنية أقرب منها الى الاسلام ! طقوس وسلوكيات تضرب رسالة الاسلام فى عقول الشباب فى مقتل ... مع ان كل الوسائل متاحة لهم ومباحة للتصحيح والتصويب ، وبرقة الاسلام ودبلوماسيته التى لا توازيها دبلوماسية .

.. ولكن ... يا حملة الرسالة : ان فاقد الشيء لا يعطيه ! .

فاذا كنتم فشلتم فى تنسـيق بيتكم ، كيف تخرجون صائحين لتنسقوا بيوت الآخرين ؟

واذا كنتم فشلتم فى حمل رسالتكم داخل عقر داركم وداخل نفوسكم وعقولكم ، فكيف تنشرونها فى بيوت الآخرين ، وفى داخل نفوسهم وعقولهم ؟

يا أيهـا الرجـل المعلم غيره هلا لنفسـك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى كيما يصح به وأنت سقيم

ونحن هنا أمام كارثة مزدوجة فلا المعلم غيره عالج سقم نفسه ، ولا هو وصف الدواء لغيره كى يصح به ، أى لا هو وصف الدواء ولا هو عالج سقمه أيضا ...

وبناء على هذا السقم المستشرى فى جسد المعلم والتلميذ معا ... أى فى جسد خريج الأمس أستاذ اليـوم ، وخريج اليوم أستاذ الغد ، فعلينا أن نبدأكم بالسؤال : من سيحكم من؟!

فان كان الثائرون اليوم من أجل الاسلام يريدون هم أن يحكمونا بالاسلام فكيف لفاقد الشيء أن يعطيه ؟ .

أما اذا كانوا قد قدموا صيحتهم ابتغاء وجه الله ورضوانه فحسب ... أى أنهم يبتغون توجيهنا للصواب فقط ، وليس لحكمنا ، فالمصيبة هنا أعظم ... اذ ان صاحب الصيحة فضلا عن انه غير مؤهل لذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه ... فانه أيضا لم يبدأ من الطـريق الصحيح ... اذ لو افترضنا فيه الصلاحية ... واذا تغاضينا عن عدم أهليته ، فانه لم يقـدم لنا شيئا . انه قدم الصيحة ولم يقدم الخطة .

ونعود فنقول : ان هذا هو الأمر الطبيعى ، اذ أنه وقد فقد كل شيء ، ليس عنده ما يعطيه فى أى شيء ، والا فهل رفع المصاحف فى مسيرة يعتبر خطة ، أم انه مظاهرة استعراضية لاثارة العواطف ؟ ان الحكم بالشريعة ليس مجرد صيحة ، بل هو عمل متكامل يحتاج الى جهد وعرق ، يترجم بعد ذلك الى بنود ومواد محددة مفصلة ... وأيضا ، موثقة الى أصولها مسندة ...

لقد قلنا ان الادعاء بأن قوانيننا مستوردة ادعاء كاذب .. واذن فالذى يريد ان تتطابق قوانيننا تمام التطابق مع جوهر ومضمون الشريعة عليه ، بدلا من قلب المائدة ... ان يقوم بدراسة دقيقة مستفيضة للقوانين الحالية وموادها ، وتبيان ما يعتقد أنه ثغرات موجودة بها ، ثم يضع البديل الذى يسد هذه الثغرات ، بفرض وجودها ، لمناقشتها كجزئية رؤى تعارضها مع الاسلام ...

نعم ، فالذى يقول ـ ادعاء ـ بأنه (مستورد !) عليه أن يقدم الدليل والبينة فعلا لا قولا ... عليه أن يأتى بالمادة التى يقول بأنها مستوردة . أى عليه ان يقول انها مخالفة للشريعة فى كذا وكذا ، وهنا تكون المناقشة الفقهية والقانونية فى النقاط المحددة والتى أثيرت بعد وضع اليد عليها وتبيان المخالف للشريعة منها .

هذا هو الأسلوب العلمى والموضوعى والقانونى الذى يتبع لنخرج منه بالبينة والدليل .

أما اذا كنتم تقصدون الكلام المطلق لمجرد الاثارة والايهام فلا يوجد أى عاقل يمكنه ان يقتنع بأن الاسلام هو الأشكال

التى كانت سائدة وقت نزوله على الرسول الكريم لان الاسلام هو جوهر ومضمون ينفذ وليس اشكالا او نصوصا جامدة ٠٠٠ ان الجوهر والمضمون هو المطلوب الحفاظ عليه ، فاذا كان المجتمع وطبيعته والتعداد البشرى ، قد جعل بيت المال وقت نزول الوحى فى جهاز واحد ، واذا اقتضت تطورات الحياه بعد ذلك وعلى الاف السنين ان يتكون بيت المال اليوم من عدة بيوت وعدة أجهزة وعدة وزارات فان هذا لا يعنى الكفر والالحاد ٠٠ اذ لا يمكن ان ادمج اليوم عشرات الاجهزة من ماليه وشئون اجتماعية وضرائب وجمارك وتجارة وخلافه ، واقوم بالغائها جميعا لأقيم بيت المال بشكله المبسط الذى لم يكن المجتمع يحتاج الى غيره وقتذاك ؟ ٠

واذا كان حديثا من احاديث الرسول الكريم قال فيه « ومن مس الحصى فقد لغى » ، ولم أجده اليوم متطابقا فى لفظه مع مجتمعنا فهل استنكره وأقول أنه (موضة قديمة ؟!) أم المفروض والواجب أن أفهم مضمونه وهدفه عندما قيل ، وأطبق المضمون على أمور الحياة اليوم بصرف النظر عن اختلاف الشكل ؟ ان الحديث انما قصد عدم الانشغال بشيء مهما صغر أثناء الصلاة لأن فى ذلك الهاء واضعاف للاندماج فى مناجاة الله أثناء الصلاة ٠ فاذا كانت طبيعة البداوة وقتذاك جعلت الحديث ينبع من البيئة والمكان فهل اذا كانت الصلاة اليوم فوق حصيرة مثلا أفليس التلهى فى معابثة قشة فى الحصيرة انبثقت عنها هو نفس المقصود ــ كمضمون ــ فى معابثة الحصى ؟ واذا كانت الصلاة فوق قطعة سجاد أفليس التلهى فى معابثة بعض خيوط انبثقت عنها هو نفس المضمون

الذى قصد اليه حديث الرسول ؟ اذن فالدين ومقاصده جوهر ومضمون لا يرتبط بأشكال جامدة أو يقف عند ألفاظ منقوشة ! .

واذن ، قد يكون بيت المال اليوم هو نفسه وزارة الشئون الاجتماعية ووزارة المالية ومصلحة الجمارك ومصلحة الضرائب ، دون تعارض من ناحية المضمون الا اذا تعارض أحد المواقف أو اللوائح فان القول هنا يكون فى التفاصيل دون ان نطالب بهدم كل هذه الوزارات مثلا وتسميتها ببيت المال ؟! .

وكذلك اذا استبدل الحصى اليوم بالحصير أو بالسجاد فليس معنى هذا ان الحديث قد فقد معناه ، بل ان معناه ومقصده باق سواء كانت قشة حصير التى يحابثها المصلى أو خيط سجادة ! .

فهل أدركتم أن الاسلام ليس أشكالا جامدة ، وانما هو مضمون وجوهر وجهد وعرق يقتضى مقارعة الحجة بالحجة واثبات الاختلاف ، اذا وجد ، بالبينة والدليل، وليس بترويج الاشاعات بأن قانوننا فرنسى ومستورد ، وليس باطلاق الشعارات واللعب بعواطف السذج وعقولهم ؟

وأخيرا ، هل ادركتم لماذا لجأتم لاطلاق الشعارات والاشاعات ؟

وهل أدركتم لماذا لم تتقدموا من الأبواب بدلا من النوافذ ؟ ولماذا لم تضعوا أصابعكم على الخطأ المطلوب تصحيحه مباشرة ـ ان وجد ـ دون التواء أو لف ودوران ؟ .

أن سببه هو الخواء فى داخلكم فهرعتم لاستكمال النقص بمظاهركم ...

ان سببه هو أنكم لم تحافظوا على أزهركم فاهتزت القيم بين أيديكم وهرعتم تبحثون عنها فى غير المكان الصحيح ...

ان سببه أنكم فرطتم فى حمايته ، ففقدتم انتماءكم ، ثم فقدتم بالتالى الأهلية بحماية الآخرين ...

ان سببه أنكم تريدون وصف الدواء لمعالجة أبدان غيركم دون أن تعالجوا نفس الأمراض فى أبدانكم ...

وقبل أن نقدم كشف الحساب ، لنرى من خلاله ديونكم أمام الله التى استحقت تنفيذ (برتستو الهى عليكم !) أود ان أناقش افتراضا قد يقوله قائل منكم بقصد التنصل من المسئولية ، أو بقصد التبرير والتبرئة لأنفسكم من جريرة ما وصل اليه الحال .

قد يقول قائل : ان الدولة قامت بادخال تغييرات على الأزهر ونظامه فأخرجته عن نطاق الرسالة التى أقيم من أجلها ، وان التغيير والتطوير هو المسئول عما حدث ...

لذلك ، وحتى نقطع الطريق على أى صوت يرتفع بهذا الادعاء كسبب وتعلة ... وجب علينا أن نناقش هذا الادعاء من جذوره ونبحثه لنضع أيدينا وأبصارنا على مدى الصحة والتطابق فيما يقال ، وفيما هو واقع وقائم فعلا ...

هل تطوير الأزهر هو سبب التدهور ؟

بعد قيام الثورة فى مصر عام ١٩٥٢ اتسع نطاق الدور المسؤول الذى يقوم به الأزهر فى تخريج علماء إسلاميين على مستوى العالم الاسلامى كله ، خاصة بعد ان تنامت علاقات مصر وتضاعفت بالعالم الخارجى ، وبشكل أخص بالدول الأفريقية والاسيوية ، التى نهضت تباعا تطالب بالحرية والاستقلال من ربقة الاستعمار والتخلف ، مما أدى أيضا الى تزايد الأعداد التى تنهل من منابع الأزهر الشريف أصول الاسلام وعلومه ، بلغته العربية مباشرة ... كما ازداد طلب هذه الدول – خلال نهضتها – للموجهين والأساتذة فى علوم الدين واللغة العربية .

عندما اتسع نطاق هذا الدور ، وازدادت المسئولية الأدبية على عاتق مصر ، وأحست بجسامة ما هو مطلوب منها وخاصة فى دول آسيا وافريقيا ، حيث يدين أغلب سكانها بالدين الاسلامى رغم عدم انتشار اللغة العربية التى هى مفتاح الفهم والاستيعاب لكتاب الله الكريم اللهم الا فى بعض المناطق التى تتحدث بلغات أصولها عربية كاللغة السواحيلية مثلا

وحتى هذه اللغات المليئة بالكلمات العربية قد طمس الاستعمار أغلب ما يربط أهلها بأصولهم العربية ، أو قام بعمليات التجهيل التى يعمد اليها فى كل المناطق التى يستعمرها . فأصبحوا بعد نهضة التحرير يحتاجون الى علماء وأساتذة من الأزهر ليوضحوا لهم ويوصلوا اليهم معانى الاسلام وعلومه

من مصـــادره الأصلية وبلغته العربية لا عن طـــريق الترجمة وعلماء غير عرب ٠٠٠

وهنا رأت الدولة والمشرفون على الأزهر وجامعته وقتذاك، ضرورة تسليح هؤلاء العلماء ، بادىء ذى بدىء ، بنسبة أكبر مما هو مقرر من اللغة أو اللغات الغير عربية ، وذلك لتسهيل عملية التفاهم مع هؤلاء الاساتذة المبعوثين مع تسليحهم بالعلوم المختلفة ، لأن الدول الافريقيـــة خـــلال انتفاضتها ، ازداد اعتمادها على مصر وأزهرها ومتخصصيها فى مختلف المجالات ، الطبية والهندسية والزراعية وغيرها ٠٠٠ ولما كان أحد أهداف مصر الرئيتسية فى تلك الفترة ، هو مد يد العون الى هـــذه الشعوب والدول خلال حركة استقلالها ، وهى تبنى نفســـها زراعيا وصناعيا وهندسيا بعيدا عن مســـاعدة الاســـتعمار ودوله ٠٠٠ وخبرائه ٠٠٠ فقد سارع الجميع ، سواء من داخل الأزهر أو خارجه ، لسد هذه الثغرات وذلك بارسال رجال دنيا ودين الى هذه المناطق التى تستعين بمصر خلال نهضتها ٠٠٠

وهنا ، وقد بينت الدوافع الرئيسية لهذا التطوير ، لابد أن أجيب على سؤال هام وهو :

هل كان هذا التطوير على حســـاب المـــادة اللغوية عربيا والعلوم الدينية اسلاميا ؟ ٠

وللاجابة عمليا على هذا السؤال فانى اقتطف بضعة أسطر من المذكرة الايضاحية لمشروع القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن تطوير الأزهر ، كما جاءت بالنص :

« ٠٠٠ وان العالم الاسلامى اليوم انفسح مداه واتسع نطـــاقه ووضعته الظروف السياســـية التى

تمر به في موضع الاختبار في مجالات شتى ، وان الثقافات الاستعمارية تحاول طوال سنى سيطرتها عليه تاوين أفكار أهله وعقائدهم ، ووضع موازين جديدة ، مما دعا لتوسيع دوائر علومه بحيث تتساوى بقدر مشترك مع الجامعات الأخرى والمدارس — مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التي يمتاز بها الأزهر منذ كان — لتحقق لخريجى الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية مع أبناء الوطن ، ويتحقق بهم للوطن والعالم الاسلامى نوع من الخريجين مؤهل للقيادة في كل المجالات الروحية والعلمية ... »

من هذه الفقرات القليلة من المذكرة الايضاحية يتبين لنا أن التطوير كان بالاضافة وليس بالحذف ... وأن التطوير كان للخير وللتقريب بين رجل الدين وأفراد الشعب في مواقعهم ، بحيث يصبح ممسكا بزمام علم الدين والدنيا معا ، ويمسى أكثر تفهما وأكثر قدرة على ايصال علمه بطريقة متكاملة لا تشوبها غربة أو مسافات نفسية تباعد بينه وبين الفرد العادى الذى سوف يتلقى تلك العلوم .

كما يلزم التأكيد بعد كل ذلك على أن هذا لم يكن على حساب الكليات المتخصصة ، أى ان الكليات المتخصصة مثل كلية أصول الدين والشريعة والقانون واللغة العربية ظلت كما هى ، وهذا يؤكد مرة أخرى أن التطوير انما جاء بالاضافة وليس بالنقصان .

وقبل أن أختتم هذا الباب — باب التطوير — لابد وأن أجيب على نقاط أخرى وهى :

هل سلبت اختصاصاته فأصبح لا حــول له ولا قوة أمام جبروت خارجي ، وتسلط مدنى أو عسكرى خارج السيطرة الدينية ؟ .

تقول المادة الثانية من قانون التطوير : « الأزهر هو الهيئة العليا الاسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتحليله ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الاسلامية الى كل الشعوب ، وتعمل على اظهار حقيقة الاسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة ، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية واظهار أثر العرب فى تطور الانسانية وتقدمها .. وتزويد العالم الاسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الاسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن ، وتخريج علماء عاملين متفقهين فى الدين ، يجمعون الى الايمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح ، كفاية علمية وعملية ومهنية ، لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أســباب النشاط والانتــاج والريادة والقدوة الطيبة ، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة الى سبيل الله بالحــكمة والموعظة الحســنة . كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الاســلامية والعربية والأجنبية » .

ليس هذا هو كل شىء بل ان قانون التطوير اتخذ الحيطة والشمول لضمان وضع الهيمنة الكاملة فى كل ما يتعلق بالدين داخــل أجهزة الأزهر وفى يد رجاله فقالت المادة ٤ من قانون التطوير :

مادة ٤ : شيخ الأزهـــر هو الامام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الاسلام ، وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الاســـلامية فى الأزهـــر وهيئاته ، ويرأس المجلس الأعلى للأزهـــر .

ورغم كل هذا الوضـــوح والتحديد فان ما بقى يزيدنا وضوحا وثقة بمدى العناية والرعاية والحيطة الكاملة لتركيز الهيمنة وتسهيل وتوسيع نطاق الأجهزة الدينية من القمة الى القاعدة فقد حدد قانون التطوير هيئات الأزهر وأشكال تكوينها كالآتى :

مادة ٩ ـ للأزهر مجلس يسمى : المجلس الأعلى للأزهر . ويتكون على الوجه التالى :

١ ـ المجلس الأعــلى للأزهـــر .

٢ ـ مجمع البحــوث الاســلامية :

ويتكون من ٥٠ عضـــو من كبــار علمـــاء المسلمين يمثلون جميع المذاهب الاسلامية منهم عدد لا يزيد عن ٢٠ من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة .

٣ ـ ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية .

٤ ـ جامعة الأزهـــر .

٥ ـ المعــاهد الأزهرية .

ودون الدخول فى تفاصيل مسهبة لا لزوم لها بالنسبة لهذا الكتاب يكفى ان ننظر الى ما سبق ايضاحه ويكفى ان ننظر للرقم الضخم من العلماء بشتى مذاهبهم الذين يشكلون مجمع البحوث الاسلامية ... ويكفى ما تبين من أن الرأى والسلطة فى أمور الدين تتركز من الألف الى الياء فى يد رجاله ابتداء من شيخ أزهرهم ورؤساء مجالسهم ومن يليهم ...

وبعد كل ما تقدم وتوضح هل لقائل ان يقول ان التطوير لم يكن بالاضافة وليس بالنقصان ؟ .

وهل بعد كل ما تقدم وتوضح ، لقائل الحق فى أن يقول بأن رجال الدين ليسوا مسيطرين على الأزهر وجميع مرافقه ؟

وفوق كل هذا وذاك كله ، أقدم معلومة مضافة لكل ذلك ، وهى وان كانت لا علاقة لها بالأزهر وقوانينه الا أنها تؤكد صدق الدولة فى ذلك الوقت فى تدعيم الاسلام وصدق الانتماء للأمة العربية ، اذ انه لأول مرة فى تاريخ مصر تثبت الدولة هذه الشخصية فى القوانين الدستورية فالمادة الأولى من دستور ١٩٥٦ تقول ان مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة ، وان الشعب المصرى جزء من الأمة العربية . وتقول المادة الثالثة من نفس الدستور ان الاسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية . وكذلك فى أى اضافات أو تعديلات سواء فى دستور ١٩٧١ أو التعديل الذى تلاه جعل الشريعة الاسلامية ومبادئها المصدر الرئيسى للتشريع .

اذن ، فما الذى حدث اذا كان التطوير ليس هو المسئول عما وصل اليه الأمر والمصير ؟ .

ماذا أخرج لنا الأزهـر في ربع قرن ؟

فهمنا من الاضطلاع على مقومات التطوير وقوانينه ، أنه أضاف دون أن يمس الأصل ، وهو الدراسـات الاسـلامية بفروعها وكلياتها المتخصصة كالشريعة وأصول الدين واللغة العربية وغيرها وفهمنا أيضا أن الهيمنة لم تسحب من يد رجال الدين ، بل على العكس فقد تركزت فى يد شيخ الأزهر ورجال الدين ، وبقيت تحت امرتهم وفى داخل مملكتهم الدينية . بل وتدعمت هيئاته بقـاعدة عريضة من رجـال الدين وأهله . وتركزت الاجتهادات والمشـاورات والفتاوى ، وكل ما يتعلق بالدين وتعليمه ونشره اطلاقا فى هيئاته الخمس وعلى رأسها المجلس الأعلى للأزهر ومجمع البحوث الاسـلامية الذى يتكون من ٥٠ عضو من كبار علماء المسلمين يمثلون جميع المذاهب الاسـلامية .

وعلمنا أيضا أنه أضاف دون مساس بالأسس الرئيسية ، « ومع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التى يمتاز بها الأزهر منذ كان » كما جاء وكما تبين لنا من مذكرته الايضاحية ومواد قانونه .

اذن ، فما غلت يده حتى نتلمس له الأسباب عن وجـود عوامل خارجية ، ومعنى هـذا ــ بالضرورة ــ أن أى تردى أو هبوط أو انهيار فى تأدية الرسالة مرجعه الى رجـال الدين أنفسهم فهم ــ أساتذة وطلبة ــ حملة مشـاعل العلم والدين والتراث وتلميذ الأمس هو أسـتاذ اليوم ، وتلميذ اليوم هو أستاذ الغد ... وهكذا ...

فماذا أخرج لنا الأزهر فى ربع قرن ؟

ان الامر اكثر من بشع ، وبلغ القصور مرحلة خلخلت الرسالة من اساسها ووصلت الى عمقها .. ومن الفاعل ؟ انه هو نفسه الذى قام اليوم ينادى ... أو بالاحرى هو الذى يطمح اليوم فى ان ... يحكمنا ... !! ولا أجد الا ان اكرر بيت الشاعر من آخره هذه المرة فأقول : ... هلا لنفسك كان ذا التعليم ؟ وسبحان الله نستعيذه مما صرنا اليه ، فهم اليوم يصيحون متهمين الجميع بالمسئولية والتقصير الا أنفسهم ! لقد قال الشاعر : ورمتنى بدائها وانسلت ... ولكنهم رمونا بدائهم وما انسلوا ... بل كونوا من أنفسهم محكمة لتحاكمنا على القتيل الذى هم كانوا قاتليه !! .

لقد تحول الأزهر ــ خلال عملية التطبيق ــ فأخرج لنا فى الربع قرن الأخير حملة أوراق فحسب ... تماما على نفس الصورة التى انحدر اليها التعليم فى سائر الجامعات والكليات بلا استثناء ... تحول الى (مفرخة !) على الطرق الصناعية الحديثة التى تخرج دجاجا وبيضا مصنعا ! .

الشهادة هى الهدف الأول والأخير من أجل الوظيفة ... ولكن الفرق هو أن هذا الهدف لم يكن هدفا طلابيا فحسب ... بل ... ان الأزهر ... ككل ... كان شريكا فى تحقيق هذا الهدف ... مفرخة تورد كما من البشر بغير كيف أى لا يهم مدى صلابة الخريج وعمق وصـــدق علمه ... وهانت كل الوسائل والسبل للحصول على ... ورقة ... ولم تعد وسيلة لتخريج هذا العالم وتحقيق هذا الهدف الاســمى بل أصبحت غاية فى حد ذاتها ... واذا باللغة ممزقة ركيكة واذا بالتركيب

أكثر تمزقا وركاكة وبعدا عن العربية ، بل أقرب ما يكون الى العامية ••• واذا كان هذا هو مصير اللغة ـ لغة القرآن وسر عظمته ـ التى عن طريقها وحده يمكن الغوص فى بحاره واستكشاف كنوزه ، فلنا أن نعرف الى أى مستوى صار تحقيق الهدف ••• ؟

لقد شاء قدرى أن أكون لفترة غير قصيرة ، قريبة من الأزهر وأروقته ، ولمست الكثير من أموره ••• وذات يوم جاءنى أحد الشباب يطلعنى على البحث الذى يعده ليحصل بمقتضاه على شهادته العليا كخريج من الجامعة الأزهرية ••• فأصبت بصدمة ••• وسألته : ما كل هذه الأخطاء المتلاحقة ؟ وما هذه التراكيب العربية التى تستخدمها للتعبير ، وأنت ، وبعد أيام قلائل ، ستصبح خريج الجامعة الأزهرية ؟ فضحك الفتى وأفهمنى : ان الحال ماشى وكله تمام ••• وتبسط الفتى معى فى الحديث وجعل يسرد على مسامعى بعض ما يحدث ••• كما سرد على بعض الوسائل التى يتبعها بعض الطلبة فى الحصول على شهاداتهم •••

وهالنى بشاعة ما أسمع ، وأدركت ان نكبة الاسلام انما سببها أنتشار أنصاف الجهلة وتخرجهم منه ••• لأن فاقد الشىء لا يعطيه ••• وكفى الله الأزهريين شر الاجتهاد !! •

كان هذا منذ حوالى عشر سنوات تقريبا ••• ترى كم من أنصاف الجهلة أكرمنا بهم رجال الأزهر ، أى رجال الدين ، حتى اليوم ؟

رب قائل يقول والألم يملأ نفسه : ولكن لا يجوز نشر هذه الصـــــور المؤلمة على الملأ ... ولكنني اقـول والالم يعتصرني أيضا : ـ لا جدوى من الاخفاء لان كل شيء معروف وعلى الملا كذلك ... واسمعوا معي هذه السطور لتتأكدوا مما اقول :

أحد أساتذتنا الاجلاء الذين نرجو ابقاءلهم ليمدوا ايديهم لانقاذ أزهرنا وديننا ولغتنا ممن يرفعون راية الدولة الاسلامية واملهم أن يحكمونا (بموعظتهم الحســـــنة !) كتب معبرا عن ماساتنا اليوم في سطور قال فيها :

« احتاجت العراق لمدرسي تاريخ ، وحضر مسئول للمشاركة في اختيارهم ، وتقدم عدد من خريجي الازهر وغيره ، واتضح ان كثرتهم لا تعرف عن مكتبة التـــاريخ شيئا ، وأن المسئول رجع بخيبة أمل وفشل لم يكن يتوقعه » .

أرأيتم أن المأساة غير قابلة للاخفاء ؟ ثم ، أليس من الأفضل أن نضعها على بساط البحث لنسارع جميعا الى تدارك الأمر وتقـــديم العـــلاج ؟ .

ثم ، أسألكم بعد ذلك بالله ... أليس هؤلاء عندما يتقدم بهم السن وتترفـــع الدرجات ، ســـوف يتبوؤون مراكـــز الغد يا ســـــادتي الأفاضل ؟ .

اذن من سيحكم من ؟ وماذا أخرج لنا الأزهر في ربع قرن ؟

ولســـت أظن انني بحـــاجة الى مزيد من الأمثلة لأن من بين العدد القليل من العلماء الأجلاء الموجودين على قيد الحياة ، أطال الله في عمرهم ، من يعلم أكثر مما أعلم ويعلم غيري من

الكتــاب ، ويتمزق ربما أكثر ممــا أتمزق ويتمزق غيرى من الكتــاب ...

واسألوا الاســتاذ الجليل الدكتــور زكــريا البرى وهو يخبركم بما يدمى ويفجع كل من يغار على العلم والدين ... اسألوه واسألــوا أمثاله من القلة الفاضلة العالمة ، الذين وان كنا نختلف معهم فى أمور ونخالفهم ، الا أننا نجلهم ونحترمهم كعلماء دين أفاضل ...

اسألوهم ... وكل منهم كفيل بأن يرد ويعدد نيــابة عنا وعن العلم والاسلام واللغة ... ما يملأ مجلدات ومجلدات .. فأهل البيت أدرى بما فيه ...

كشف الحساب

أجيـال الطين الأرمني ... !

بعد المد والتدفق الكمي في العقدين الأخيرين من الجامعة الازهـرية تقوقع الأصلاء من اهل العلم والدين الاسـلامي ، اما داخل أنفسهم ، واما راحوا يعطون علمهم في كتاب هنـا أو في جامعة هناك في أرض الله الواسـعة ، وهم في نفس الوقت – كبشر – يواجهون بذلك متطلبات الحياة بما تفرضه اليوم من أعبـاء ...

وخلت الساحة ، أو كادت ، الا من هؤلاء الذين انتشروا من علماء الطين الارمني وبصاق الصبية ... ودخول المرحاض هـل يكون بالقـدم اليمنى أم اليسرى ... ؟ وبينما هـم يتسابقون ويتزاحمون على اجهـزة الاعـلام والنشر بالمقـال والفتوى ... كان المجتمع ينهار ، لأن الصلة العلمية الدينية الحقـة قد انقطعت ، ولغـة التخاطب والتوجيـه قد اختلفت وتفهت ... فاذا الشـباب يعاني الخـواء الديني والفكري والعلمي .. فيسهل تلقفه .. لأي شيء .. وكل شيء .. أحط ما يثير الغرائز البدائية والمنحطة يتلقفه ... النكتة البلهاء التافهة التي لا تضحك أحدا تجعله يضحك ويستحسن ويصفق ويهلل ... الموسيقى الصاخبة المدمرة للأعصـاب لم تعد تزعجه بل تدفعه كالمجذوب المختل يتلاحم معها ليفقد أعصـابه وحسـه وتذوقه ... ويهرع بعضهم الى الله ... ولكن تتلقفه مدرسة الطين الأرمني والقصـص المدسـوسة والدخيلة على الـدين والخزعبلات ... لكن الشـباب يتلقفها لأنها تصل اليه من رجال حسبوا على الاسـلام ويظن أن تصديقهم ضرورة ...

لأنه لا يعرف الحقيقة ... لأن بداخله خواء ... واستمر الشباب ينهل خرافات وتفاهات قيل أنها ضمن تعاليم الاسلام وصفات التدين ...

المشـــردون

ليس التشرد للأبدان فحسب ، أو بفقدان المسكن والمأوى فحسب ، وانما هناك العديد من الأنواع مما يمكن تسميته ـ مجازا ـ بالتشرد ...

ولقد خلقتم ، بمسئولية جنائية أخلاقية دينية ، ما يمكن تسميته بالتشرد الذهنى ، الذى أدى بدوره الى نوعين من التشرد : ـ

١ ـ التشرد الدينى ...

٢ ـ التشرد الاجتماعى ...

ولأن هؤلاء الذين تشردوا ذهنيا أولا ثم دينيا أو اجتماعيا، انما وقع عليهم ذلك بفعل فاعل ، دون أن تكون لهم مسئولية أو ذنب فيما وصلوا اليه من تشرد ، فقد فضلت ، التزاما بالدقة فى التعبير ، وأمانة الكلمة ، أن أطلق عليهم اسم : « المشردون » ... وليس : « المتشردون » ... وبذلك أعفيهم تماما من المسئولية فيما وقع عليهم باعتبارهم مجنى عليهم مائة فى المائة ...

لقد أصيبوا ، بداية ، بالتشريد الذهنى ، الذى خلقه التسطيح الفكرى ، العلمى والدينى ، وكنتيجة لهذا الخواء أصبح الاستعداد للتلقى ... أى تلقى ... جاهزا والطريق ممهدا ...

وهؤلاء البسطاء الطيبون ، وقد يكون بينهم متعلمون جامعيون ، فليس بالضرورة ان يكون كل حملة الشهادات الجامعية ، خارج عداد البسطاء ، فهناك حملة شهادات عديدون ، هم أرض خصبة للتلقى ... أى تلقى ... وبالتالى فأنتم تجاه هؤلاء أيضا ، مسئولين مسئولية كاملة عما يصيبهم من تشريد ... أنتم لا غيركم فاعلوه ... !

الفريق الأول من الذين أصابهم التشرد الذهنى ، واتجهوا نحوكم ، فأخذوا عنكم ، أسفر ذلك بدوره لديهم عن حالة « تشرد دينى » ينقلب حامله نتيجة سوء التوجيه فضلا عن الخواء ، الى « مهبوش ! » يمكنه ان يضيف من خيالاته المريضة أشياء وهلوسات ، ليفرضها على عقول البشر والمجتمع ، على أنها من الاسلام ... واياك ان تحاول تصحيحه أو تفتح فمك ، فأنت الكافر الزنديق ، والجاهل الذى ــ أيضا ! ــ لا يفقه أى شىء ! .

ولنبدأ بتقديم أمثلة معدودة وليست حصرا ، عما وصل اليه حال هذا الفريق الأول من سوء وتسطيح :

مثل : سمعت يوما صراخ مذياع بموسيقى وصراخ من نوع (عدوية !) وهرعت لأبحث عن مصدر هذا الصوت فاذا به يأتى من نافذة لمقهى فتحت على فناء العمارة ... نزلت الى الطريق ولما وصلت وجدتهم عمال بياض يجددون المقهى ومعهم (ترانزستور ...) رجوته أن يخفض الصوت وأفهمته أن هذا يزعجنا ويزعجه أيضا لأن الارتفاع الشديد يتلف الأعصاب ... فخفض الصوت قليلا وهو مستاء من قولى وحاول أن يعطينى درسا فى أدب الدين فقال لى : « ده كلام

ربنــا ! » وهكــذا فان هذه الصرخات المجذوبة بموســيقاها الهستيرية أصبحت فى نظر العامة : كلام ربنــا ! وهــذا كله بفضل غرسكم الكريم ...

ان الخزعبلات والهلوســات طغت حتى أغرقت العقــول والآذان معا فلم يعد يميز بينها وبين كلام الله ، والعياذ بالله مما وصل اليه مستوى العقول والآذان معا فلم يعد يميز بينها وبين كلام الله ، والعياذ بالله مما وصل اليه مستوى العقول ! .

مثــل آخــر : أمام فندق هيلتون بميدان التحرير وبجوار غرفة المفتش فى انتظار (الاوتوبيس) ســمعت محادثة بين المفتش أو رئيس السائقين وهو ملتحى وفــوق الخمسين من العمر ، وبين شاب أربعينى المظهر يبدو متعلما ويحاول الأخير سرد دعاء على مسامع الملتحى طالبا اليه أن يقوله كلما احتاج لأمر أو وقع فى كرب وأن يقرأها (كذا) مرة ثم عاد وكررها مرة ثانية . ويبدو أنه شك فى أن الملتحى ربما ضاعت منه كلماتها فأعادها على مسامعه مرة ثالثة وهو يؤكد له انه حصل عليها من كتاب مهم ... وهنا بادره الملتحى قائلا : ـ لأ ، طبعا مصدقك ، ده كلام ربنــا ! .

وهكذا ، فهو أيضا يرى أن كلمات للدعاء يكتبها أى انسان توسلا لله ورجاء ، هى « كلام ربنا ! » بل ان أى من المذيعين عندما يقدم برامج دينية أو حفلا دينيا يبدأه أو يختمه بدعاء من عنده يقوله هو وغيره ، وكلها كلمات من وضع البشر ... لكن هذا الملتحى الطيب لم يعرف ، أيضا ، الفرق بين كلام الله وكلام البشر ... !

مثل ثالث : من قارىء لصفحة الناس قرأت الخبر التالى :
« منتهى التنسيق ··· آذان العصر يقسم حديث الشيخ الشعراوى شطرين ··· مع أنه لا يحرص على سماع الشيخ الا المصلين · »

والعجيب ان الجريدة نشرت صورة الشيخ الشعراوى مع رأى هذا القارىء الساذج البسيط الذى اعتبر ان دخول الآذان خلال خطبة الشيخ ليقطعه بضع ثوان ، أمر جلل ! وهكذا فقد انقلب الاعجاب بالشيخ الى نوع من التأليه أو التقديس ، وبدلا من نشر الخبر فى بساطة تشبه بساطة كاتبه دعمته بنشر صورة الشيخ وهكذا اختلطت المفاهيم والمقاييس ونسوا ما يلزم تقديسه ثم قدسوا ما لا يجوز تقديسه ··· !

مثل رابع : فى الوقت الذى ينزعج الشاب الطيب من دخول الآذان على خطبة الشيخ ليوقفها ثوان حدث ان زاوية تقع أسفل نافذتى كان خادمها الطيب قد وضع لها ميكروفون للآذان ورفع صوته الى أعلى مستوى ، ولأنه بين جدران البيوت فقد وضعت أصابعى فى أذنى عندما شعرت للحظة ان (طبلة أذنى) ستصاب بالضرر وكان معى وقتذاك مجموعة من السادة المفروض فيهم العلم والثقافة فاذا بأحدهم يحملق ويعض على شفتيه مستنكرا ما قمت به وكأننى أتيت احدى الكبائر ···

وهكذا ، واحد يقدس الشيخ على حساب الآذان ، وآخر يقدس الآذان لدرجة اساءة الفهم ، واذا كان الساذج البسيط القائم بخدمة الزاوية لا يفهم هندسة الأصوات ، ويصم أذنى ، فأن أخفف حدة الصوت وتأثيره أكون قد كفرت أو أثمت ·· !

ويذكرنا أمر الميكرفون (الأرضى) بواقعة أخرى فقد كنت فى ميدان المنشية بالاسكندرية قرب الظهــر ففوجئت بثلاث آذانات تتعارض وتتداخل بأعلى أصوات ميكروفونية ، لدرجة أنك لا تتبين ماذا يقــول أحدهم ··· وأسرعت الخطى آملة الاحتماء من قسوة المصارعة ولا أقول الآذان ··· وكدت أصاب بحالة شبه هستيرية لأننى كلما اتجهت الى ناحية وجدت الحصار المتداخل المتصارع بنفس المستوى ··· وبعد ان تمالكت نفسى تذكرت ما كنت أشعر به فى (ماضى الزمان !) عندما كان يتسلل الآذان الى أذنى من ارتفاع علوى وكأنه يأتى من السماء ··· كانت رجفة وخشوع ··· انقلبا الآن الى حالات هستيرية استغيث منهاً ومن تصارعها بالله ذاته ؟! ·

وهكذا ، فقد تبدلت كل المفاهيم ··· ولم يعد من الممكن أن تفتح فمك : لأن أحدا لن يحميك من الجهل المستشرى الذى لا علاقة له بالحس الالهى ولا الايمان ···

وماذا أيضا ؟ هل عرفتم بمــاذا جنيتم على النــاس وعلى المجتمع وعلى الدين يا حمــاة الاســلام وهو منكم يحتاج الى حماية ؟ ·

ان الله يقوم المكافأة ويقدم الجزاء ··· المكافأة لمن أحسن ولمن تاب وأناب ، والجزاء لمن فسق أو عصى وضل ··· ولكن لا أدرى ، أبحسن نية أم بسوء نية ، أجزلتم العطاء فى خطبكم وفى مقالاتكم ، وفى أحاديثكم الاذاعية والمرئية ، وبســخاء شديد جمعتم كل أنواع المقــولات والأحاديث والآيات المتعلقة بالمكافأة وقدمتموها للنــاس بطريقة أضلتهم ، وأطمعتهم فى غفرانه رغم الترصد وسبق الاصرار ؟! ·

ان الأصل في الانسان انه سوى السلوك ... ثم اذا أخطأ أو انحرف بغير قصد منه وأفاق من غفلته واعتصره الألم يهرع الى الله طالبا المغفرة والتوبة وهنا يغفر الله له اذا قبلت ذلك مشيئته ... ولكنكم قدمتم من الأقوال، حتى من خارج القرآن والأحاديث، بطريقة تؤدى الى سوء الفهم، وتصل الى العقل بما معناه : ـ انك مهما فعلت ثم اتجهت الى الله غفر لك (؟!!) أى أنكم بدلا من الله قد منحتم، وبسخاء شديد، صكوك غفران ... وقلتم للناس ما معناه : افعلوا ما يعن لكم ثم اقصدوا الله وسيغفر لكم فورا ويدخلكم جناته !.

وكان أن أقدم العديد من السذج والبسطاء، علما ودينا، على كل أنواع الانحرافات ... وهم يعدون أنفسهم لمخاطبة الله فى (حجة !) أو صلاة جمعة، أى انه يفعل ما يفعل، وهو واع بما يفعل، معتمدا على أن المغفرة قادمة، وانقلبت الأمور ومعانيها رأسا على عقب، فبعد ان كان الخطأ يأتى عفوا ودون قصد ثم يأتي الأمل فى مغفرة الله ساعة الندم والامتناع عن الخطأ، بل وتصحيحه واذا أمكن التصحيح، اذا بالأمر ينقلب لدرجة أنني سمعتها مرة من ساذج علم وجاهل دين، اذ قال لى ردا على ملاحظة لى فى أمر لا أذكره : ـ « ما هو أنا حا استغفر !! ».

تلك جريمتكم وخطيئتكم اذ لم توازنوا بين الجزاء والثواب، ولم توضحوا معنى الغفران الالهى، وأنه ليس دفتر شيكات تضعه فى جيبك، تمنح الله منه شيكا بعد كل انحراف أو مخالفة أو جرم ؟!

استغفر لله للشعب المسكين ولا أستغفره لكم ، فلقد كنتم الجنـــاة ...

هل هذه الأمثلة والنتائج هى كل جناياتكم على الشـباب والجماهير التى تثق بكم كوســطاء أمناء على ايصـــال العلوم والآداب والقواعد الاسلامية الى عقولهم وقلوبهم ؟ كلا ، ففى الجعبة الكثير والكثير ...

كلنا نعرف أن الحج هو آخر الفرائض ، أى بعد استيفاء الفرائض وأدائها بصورة صحيحة ، تأتى فريضة الحج لتتوج اتمام فرائضك كمسلم صحيح اسلامه ... وليس هذا فحسب ، بل ان الله قد جعلها مشروطة كى يعفى منها من لا يعيش فى بحبوبة مادية أو قدرة صحية ، أو غير ذلك ، فقال تعالى :

« ... وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ... »

ولكن لأن كل شىء قد انحرف عن الطريق الطبيعى ، فقد انقلبت الآية ، وأصبحت الدولة تقدم ، بل وتعلن ، عن تقديم القروض لموظفيها لاداء فريضـــة الحج ! نعـــم ، انقلبت الآية الكريمة الى عكس مقصودها تماما ... وبالتالى فقد تضاعفت مفاهيم الخطأ فى ذهن الشعب ، وانقلب المفهوم فى ذهنه أيضا ، فأصبحت القروض أمرا طبيعيا ... من أجل الحج .. ثم ، ولأن الخطأ لا يتولد عنه الا الخطأ ، فقد تحول الحج ذاته الى غير معناه تماما ... واذا باهمال الفرائض التى تسبقه فى الأولوية أصبح جـــائزا ، وتركز الســـباق على فريضة الحج وحـــدها ...

أتعرفون لماذا ؟ ومسئولية من هى ؟ .

بعد أن أصبح الفرد لا يميز بين الموسيقى الصاخبة مع كلمات المجاذيب ، وبين كلام الله ، لم يعد بطبيعة الحال يميز بين الواجبات والفرائض والمقصود منها ومضمونها ... ولا الأولويات في الفرائض ... وبعد أن وقفت الدولة تقرض الناس ليذهبوا للحج ... وبدلا من ان تقولوا للدولة ، بالحسنى والتوجيه الرقيق ، ان هذا مخالف للشرع ومعنى الحج وأولويات الفرائض ... هرع كل جهاز يشمر عن ساعديه ليحصل على ميزات هذا الخطأ الجسيم ، وهرع البعض للحصول على الحج المجاني ، تارة بحجة قيادة البعثات وتارة بحجة توجيهها ، وانقلب الأمر الى بعثات ... واشتد السباق قبل الحج بالاستعداد له ، وبعد الحج بمحاولة التكرار وأصبحت (هوجه !) والشاطر يفوز اما بالقرض ، واما بالحج (البلاش !) .

وهكذا فقد شاركت أغلبية منكم ، اما بالصمت عن تصويب الخطأ ، ربما تعففا عن أن يساء فهم مقاصدهم ... واما — وهذه هي الأغلبية — للحجز السريع ... على حساب الدولة ... وباسم الاسلام ... وعلى حساب الشعب المسكين الذى لم يواكب مهرجانات ... الانفتاح ... التى أصبح الحج ... ويا عجبا ! احدى ساحاتها ... ومجالا لاقتسام ... الأرباح ...

ولأن الخطأ يولد الخطأ ، فقد تولد عن ذلك مآسى أخرى دنيوية واقتصادية ... خلاف الدينية الاسلامية ... وهذه لن أعددها لأن الذى يدعى يطالب بالبينة ، وأنا مسكينة بسيطة لا أنا وزيرة اقتصاد ولا أنا وزيرة داخلية ... فمن أين لى اذن بالحصول على الأدلة ؟ .

ولكن يكفي للدلالة على ان الموضوع خرج عن الموضوع ٠٠ وأنه تحول الى مهرجانات انفتاحية ٠٠٠ أن النشالين قد اندسوا بين زمرة الحجاج ٠٠٠ ورحم الله أيام الحج كما أذكرها ٠٠٠ في أيام طفولتي ٠٠٠

نتيجة حتمية

اني أود أن يطلب الذين يبغون اصلاحا ، ويسعون الى بحث الأمور من أسبابها ودوافعها ، أن يطلبوا لأحد علماء النفس أو علماء الاجتماع أن يرقب المناظر التي ينقلها التليفزيون للجماهير أثناء الصلاة وأثناء الحج ، ليقدم لهم تصوره وتحليله لما يخرج به من نتائج واستنتاجات للمعاني التي يخرج بها عن الأغلبية الساحقة من المصلين والحاجين ٠٠

ان ما وصل اليه الحال ، هو النتيجة الحتمية التي يوصل اليها هذا التفسخ والضلال في فهم الدين ومراميه ٠٠٠

نحن نعرف جميعا أن التليفزيون ينقل صلوات الجماعة فقط ، أي صلوات الجمعة ، وأيضا صلوات المناسبات الدينية الهامة اسلاميا ، ثم الحج وهو أعلى مرتبة من مراتب الاتصال بالله هو وصلاة الجمعة ٠٠٠ ومعنى هذا أن الانسان يذوب في بوتقة روحانية شفافة تعمق صلته بربه وتجعله يندمج في هذا اللقاء بكل جوانحه وخلجاته ٠٠٠ ولهذا فقد صدق الحديث النبوي الكريم عندما قال : « ومن مس الحصى فقد لغى » وقد فسرنا مضمونه في باب « من سيحكم من ؟ » بأن أي معابثة بالأصابع سواء كانت حصى أو قشة حصير أو خيوط بسط وفرش فانه لغو ، ومعنى ذلك يؤكد أن الصلاة تعني الانصراف الكامل ماديا ومعنويا لمخاطبة الله أثناء الصلاة ٠٠٠ أي

صلاة ... فما بالك اذا كانت صلاة الجمعة ؟ وما قولك اذا كانت صلاة وشعائر حج ؟! .

فهل دققتم النظر فى حالة الجماهير وهى تواجه التليفزيون بالصورة والصوت معا ؟!

لقد تمرنوا على الذهاب الى الحج أو صلاة الجمعة وكأنهم فى نزهة ترفيهية ... أو لأنهم يعتقدون ــ وهذه احدى النتائج الحتمية التى ذكرناها ــ أنهم بذهابهم وتمتماتهم السطحية الخالية من الانصراف الحقيقى للعابد ، أنهم يعطون الله أحد الشيكات من الدفتر الذى فى جيبهم ، والذى افهمتموهم أنهم مهما فعلوا ، فان مغفرة الله حتمية بمجرد مخاطبتهم له ... أى بمجرد اخراج صك من صكوك الغفران التى منحتموهم اياها مدعين على الله كذبا انها كافية عنده وافية !! ولهذا كله فهو غير معبأ بأى معان حقيقية ، ولهذا كله ، فبمجرد ان تتجه الكاميرا نحو وجهه الكريم يتحول الى ممثل فى أحد الأفلام فيسارع بالتمتمة الصناعية ويسارع برفع الأيدى وكأنها تتجه الى السماء ويعلم الله والمتفرجين أيضا ــ أن وجهته كاميرات التليفزيون وحدها ... ! ويستمر التمثيل ساعة سقوط الكاميرا الى وجه أحدهم ... تمتمة مصطنعة للكاميرا ... هز الرؤوس المصطنع للكاميرا ... رفع الأيدى لتملأ شاشة التليفزيون ساعة لقطة الكاميرا ... بل وقد رأيت أكثر من شخص فى أثناء مراسم الحج ــ وأشهد الله على صدق ما أقول ــ يقفز ويرفع مظلته مع كل قفزة عدة مرات لتسجل الكاميرا منظره الراقص فى لقطة متميزة ولما لا يفعل ؟ لقد اعتاد أن يرى كل هذه المراسم فى أمور تافهة تعرض عليه عشرات المرات

بما فيها ... الاعـــلانات ... التى اسـتخدمت كلمــات :
« لبيــك اللهم لبيك ... » وغيرها فى اعلاناتها ... وبذلك
خرجت الكلمات من المكــان والزمان ... وسلبتها الاعلانات
والبرامج الراقصـة جزءا كبيرا من تأثيرها وقداسـتها ...
واذا كان الاعلان يستعمل نفس الالفاظ التى توجه فى ساعة
معينة ولحظة معينة توجها للخالق فماذا بقى بعد أيها الســادة
الذين تريدون حكم البشر ! وجريمتكم هنا ليست فقط بعدم
توجيه الرأى وابداء النصح ... ولكن الأدهى أنكم تسابقتم
لاستخدام هذه الشعارات القدسية فى اعــلاناتكم عن جمعيات
سميتموها بالاسلامية فهذه لبنــاء المساكن ، وتلك للبنوك ،
وتلك ... وتلك ... !

بعض هواة الكاميرا ، صوت وصورة على السواء ، تسجل
أصواتهم المصطنعة أثناء الصلاة ، لمجرد الرغبة فى التسجيل ،
حتى انقلبت وسائل الاستحسان الطبيعية التى تصدر من بعض
المصلين أحيانا أثناء القراءة أو الابتهــال وكأنك فى حفــــل
لأم كلثوم أو وردة : الله يا سيدنا ... أعد والنبى ... صلى
على النبى ... وهذا الأخير يبدو أنه محترف لأنه دائما وأبدا
متواجد وهو (يفقعها) بالصوت العيانى المجلجل !! .

وبعض عشاق الكاميرا يتعمدون المصافحة عقب الصــلاة
ليس تنفيذا للمعنى الاسلامى الكريم ، وانما تشعر بأنه يقوم
بلقطة سينمائية فهو يصافح بيمينه ثم بعد أن يواجه الكاميرا
بعينيه يعود ليسلم على يســاره ويتعطف على الكاميرا بنظرة
ثالثة ... وسبحان الله الذى تتحول الغــاية عن طلب مغفرته
وهدايته الى عشق الذات وعبادتها ! .

وأما آخر (صيحة !) فهى رصة أطفال تتكدس فى ركن عند مقدمة المصلين لا بأى قصد سوى ظهورهم فى التليفزيون، وتؤكد وجوههم البريئة نية من أحضرهم ••• فى متابعة دقيقة للكاميرات ••• !

وبهذه المناسبة فانى أرى بالنسبة للمصلين العاديين ـ الاكتفاء بتصوير ما يسميه المصورون محرفا عن الانجليزية (توتاله) أى صورة عامة غير مقربة ولا مركزه على أحدهم ••• وان اقتربت الكاميرا فليكن ذلك من خلفهم وليس من ناحية وجوههم ••• وهذا ليس اقتراح للعلاج ، لأن العلاج أعمق وأشمل وأطول زمنا لازالة هذه التحولات الخطيرة مجتمعة ••• ولكنه مجرد اجراء وقائى حتى يتم مع الزمن والتربية الدينية والعلمية الصحيحة ، تعميق الفهم وتصويبه لدى الجماهير التى انحرفت عن الفهم السليم •••

وقبل أن أكمل حديثى عن الفريق الثانى ، وهو الذى أوصله التشرد الذهنى الى التشرد اجتماعيا ، أود أن أقدم فقرات قليلة من الكثير الذى يكتب وتعلو به الصرخات ، وهو جميعه يؤكد مسئوليتكم أولا وأخيرا عما وصلنا اليه وعما لايزال يجد الأرض الخصبة لزرع الانحراف عن الدين بواسطة مسميات تحمل ـ للأسف ـ أسم الدين ! •

ولنبدأ بمقاطع من مقال للزميل الاستاذ رجب البنا بعنوان: عقول الشباب فى مواجهة الخطر نشره بالأهرام بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٨٥ جاء فيه :

« وبفهم طبيعة الغزو الثقافى يمكن أن نفهم سر الحركة التى نشطت فى السنوات الأخيرة لاحياء كتب بذاتها من التراث

القديم وتشجيع الشباب على قراءتها لا على انها مجرد اجتهاد بل على انها هى العقيدة وهى الاسلام وكل ما عداها ضلال ، هذه الكتب ــ والتراث الاسلامى حافل بها ــ هى التى ساهمت فى اثارة الشبهات ، وأدت الى تعدد المنطلقات ، واختلاف المفاهيم حول الدين الواحد . وكانت هى القوة الفكرية التى أدت الى تحول الشباب المسلم المخلص لدينه ، الذى يريد ان يعرف ويريد ان يعمل ويريد ان يشارك ، الى فصائل يكفر بعضها بعضا ، ويحارب بعضها بعضا ، ويضيق بعضها **بالاستماع الى رأى البعض الآخر ، ولو راجعنا قوائم كتب التراث المنشورة فى السنوات الأخيرة لا فى مصر وحدها ولكن فى العالم الاسلامى كله أو معظمه ، فسوف نلحظ على الفور ان حركة النشر هذه موجهة بعناية وان هذه الكتب بالذات نشرت باختيار دقيق وان كثيرا من التعليقات عليها جاءت باسلوب ملتو ظاهره انصاف وباطنه الرغبة فى التدمير ، دون ان تتصدى الهيئات الاسلامية لها بالتحليل والتنفيذ فتركت سمومها تسرى بلا علاج ... الخ .**

ولنقرأ هذه العجالة للكاتب الاستاذ سليمان فياض التى جاء فيها :

« **بعض رجال الدين الذين تستعين بهم أجهزة الاعلام قد تربوا على كتب دينية ألفت فى عصور الانحطاط ــ المملوكية الخاصة ــ والتى شاعت فيها الخرافات والاسرائيليات ،** ومن العجيب أن تكون فى مصر رقابة دينية وادارة للدعوة بالأوقاف ، وتسمح بحدوث هذه الانحرافات الدينية والاجتماعية من رجالها ، ولا تخضعهم للرقابة على ما يقولون ــ وكأن كل من هو منهم معصوم عن الخطأ معصوم عن التورط » .

أما هـذه القصاصة الثالثة فأقدمها كما هى وقد نشرت بأهرام ٩ يونية ١٩٨٥ الماضى :

« من قبل .. ومنذ بضعة اشهر فجرت صفحة المحافظات قضية انتشار شرائط الكاسيت التى تسىء الى العقائد الدينية الاسلامية ، وقلنا ان بعض المنشدين راحوا يقلدون الأغانى العاطفية وغيرها فى الانشاد الدينى ومن أمثلة ذلك : الشريط المسجل عن الحج والذى يقول فيه المنشد : (الكعبة وحجها .. يا خواتى باحبها .. يا خواتى !!) وغير ذلك من الأغانى التى تعتمد على (الدلع والميوعة) والطبل والزمر .

واليوم يتردد السؤال فى محافظات مصر : ان هذه الظاهرة تزداد من وقت لآخر ، وان هذا النوع من الاشرطة الهابطة امتد الى قلب الريف بصــــورة تقتضى التصدى لهــا .. فالى متى السكوت ؟ لقد ظهرت فى الاسواق اشرطة جديدة تشوه سيرة الرســول الكريم محمد صلوات الله وســـلامه عليه ، وتحكى حكايات غريبة ، وذلك مثل الشريط الذى يحكى قصة الغزالة التى كلمت الرسول وشريط الاعرابى وشريط سامية وسامى ، ومما زاد الأمر بلاء ان هذه الأشرطة الهابطة بدأت تزحف الى اسواق الدول العربية لدرجة ان نقابة الموسيقيين فى الدولة الشقيقة (تونس) ارسلت الى نقابة الموسيقيين فى القـاهرة تطالبها بضرورة وضع حد لهذا النوع من الأشرطة .

ويقول الشــيخ أحمد شعبان المدرس بالأزهـر والمنشــد الدينى متسـائلا : هل تتصور ان هناك شريط كاسيت يقول عن مناسك الحج : (الموج بيهلل .. بشراك يا رايح للعدنان ..

آه يا رب .. يا زينهم .. أهل الحنان يا مه .. رحنا الحجاز . ارض نبينا .. ووصلنا يا مه .. بالسلامة ..

أما الشيخ محمد الطوخي فيقـول : لابد من تحرك سريع للأجهزة المسئولة كافة عن طبع شرائط الكاسيت لأنه من غير المعقول ان يدخل المنازل شريط يقول : على وزن اغنية معروفة : انا ابدأ مديحى فى النبى .. أمدح واقـول : يا نبى والحـب طلبك يا نبى .. عيان ودخل العيادة عيان ويقول اه .. حالة طلب من الادارة علشان ييجى للنبى يحاكيه .

ويقول الشيخ نصر الدين طوبار : ان ما يتم توزيعه فى محافظات مصر من هـذا النـوع من الاشرطة يعتبر نوعا من التهريج . ولابد من وقفة صارمة .

ويتفق الثلاثة على ضرورة وضع حد للتخلص من هـذه الشرائط الهابطة التى تشوه السيرة النبوية والاحاديث الشريفة والتى تتضمن كلمة من هنـا واخرى من هنـاك حسبما يحلو للراوى وعبارات عن الحب والهيام والغزل والوصال ثم يربطون ذلك بسيرة الرسول ... فالى متى السكوت ... !؟

(انتهى الكلام المنقول)

بقى الآن أن نتحدث عن الفريق الثانى من الشباب الذين تعرضوا للتشرد الذهنى ، هـذا الفريق الثـانى تعرض مثل سابقه للخواء الذى زرعتموه فى عقولهم ونفوسـهم لكنهم لم يقعوا ضحية لكم بشـكل مباشر ... فقد اتجه بهم التشرد الذهنى النـاجم عن الخواء الذى أصبح يملأ تجاويف عقولهم وأفكارهم ، فأصبحوا فى حالة صلاحية تامة للتلقى ، اتجه بهم للوقوع فى أيدى من لا يقلون عنكم خطـرا ، بل ربما يزيد خطرهم ، وان كانوا فى النهاية يتساوون ... فى الخواء ...

وفى تلقى الخطأ ... لكن بأسماء مختلفة : الأول يتلقى الاخطاء عنكم باسم الدين ، والثانى يتلقى الأخطاء عن آخرين، وان كنتم أنتم المسئول الأول الذى بذر الأرض وسقاها ، باسم الحرية والتقدم ... !!

والدين برىء من غرسكم الذى أودى بالاثنين معا ... وهكذا تحت الشعارات العظيمة السامية : الدين ... الحرية ... التقدم .. ارتكبت كل الجرائم .. وسقط الفرقاء جميعا ... والفاعل الأول هو أنتم ... ؟!

الى أين اتجه الفريق الثاني بعد ان قمتم معه بالجولة الأولى من تفريغ عقله ؟

لقد تلقفته خططا صنعت جميعها بالخارج ... صنعت باحكام وبعلم وتخطيط بحيث عندما تصدر الينا ، نتلقفها تحت شعارات التجارة ... وشعارات التقدم وآخر صيحات أخرجتها بيوت الأزياء العالمية ...

تحت هذا الشعار المضلل ... بدأ تهافت الشباب : (فتياتنا وفتياننا) على استخدام هذه الأشياء باعتبارها ... كما قلت : حرية وتقدم وآخر صيحة ! وقد ذكرت بعضا من هذا المخطط المصدر لنا فى آخر كتاب لى ، فصودر الكتاب لأسباب تتعلق بمجاملة الصهيونية العالمية ، وطربت الصهيونية وسعدت لأنها استكملت تنفيذ المخطط وتصديره على (الواسع !) .

لا أريد ان اكرر ما قلته في الكتاب وقتذاك ولكن أذكر فقط ان بداية الخطة التى درست وخططت فى الخارج قبل تصديرها كانت تهدف الى معنى نفسى بالدرجة الأولى ، فقد استخدمت علم النفس لتدمير الارادة الفردية بالتدريج ،

ليسهل بعد ذلك أى شيء وكل شيء ... فكانت فى البداية تصدر ثياب عليها علامات على الصدر أو الأكمام لا معنى لها ... وكانت هذه أول خطوة ... وبعد التعود على ارتداء ما يقدم للشباب دون اندهاش أو رفض أو حتى تساؤل .. ! وتتضاعف وجبة استلاب الارادة فتزداد العلامات المبهمة والخطوط أو الكلمات التى لا تحمل أى معنى بل ولا حتى معنى جماليا ! وقبل الشباب وأقبل لأنه مفرغ العقل وجاهز ومستعد للتلقى ... بعد ذلك تقدموا خطوة لجعله لوحة اعلان متنقلة للدعاية لكل المحلات الصهيونية التى تمتص دماءنا ، فحملناها أيضا ولم نرفض ... بعد ذلك بدأت ... المرحلة رقم ٣ وهى مرحلة الكلمات الوقحة ... تحت شعارات براقة .. الحرية .. أنا حر .. أو (لا شيء يستحق الاختفاء ..) أو أو ... حتى وصل الأمر ، وكان هذا منذ سنوات سبع ، أن رأيت شابا جامعيا يضع شعارا على بنطلونه عند الفخذ مكتوب عليه بالانجليزية I Am Rotin To The Bottom وترجمتها : أنا متعفن حتى الأعماق !) وقلت وقتذاك فى تعليقى أنه حتى بفرض اننى تعفنت حتى الأعماق — والعياذ بالله — فعلى ان اتخفى : (واذا بليتم فاستتروا ...) وقلت فى تعليقى اننى حمدت الله على هذا البلاء لأنه لم يكن قد وصل لأبنائنا فالشاب الجامعى لم يكن عربيا ...

ولكن لأن الكتاب صودر ... ولكن لأن المشرفون على الأخلاق وعلى رأسهم رجال الدين ، لم يقرأوه ... ولكن لأنهم حتى لو لم يقرأوه فهم لم يروا ولم يسمعوا عن المخطط الذى ملأ الأسماع والأبصار ... فهم فى شغل شاغل عن التصحيح ، وعن التنبيه ، وعن الموعظة الحسنة ... بطلب الحكم ...

وكفاهم ذلك مأربا ومنتجعا !! ··· أقول لأن كل هذا حدث وأكثر منه حدث ··· فقد شمرت الصهيونية عن سواعدها فالأبواب مفتوحة على مصاريعها ··· (وخلا لك الجو فبيضى واصفرى !) ، فقد ضربت الحملة وزيدت الى عشرات أضعافها ··· واذا بى أشعر بالخجل من كثرة الحملقة فى مؤخرات الشباب وصدورهم وأذرعهم وأثدائهن كى ألاحق القراءة قبل اختفائهم أو اختفائهن عن أنظارى ، ولكننى لا ألاحقهم ولا أقوى على القراءة لكثرة ما هو مكتوب ···

أحد الشباب على صفحة حذائه المفتوح عند الأصابع بالخط العريض مكتوب ما يلى : «KHAWAL» ومعذرة لعدم ترجمتها فهى مترجمة جاهزة ! ·

فتيات صغيرات مراهقات يرتدين فانلات مكتوب على الصدور منها وفوق الأثداء ··· معان كلها من نوع : تذوقنى ··· أو جربنى ··· أو قبلنى ·· بل وما هو أوقح من مثل هذه المترادفات وهى كلمات تدعو وبوضوح مباشر الى الفسق والفجور ! ·

ومن أعجب العجب ، أن كثرة غالبة ــ ولا أقول جميعهم ــ ليسوا من الفئات المنحلة بمعنى الكلمة أو الى هذه الدرجة ولكننى كما اسلفت أطلق عليهم كلمة : (مسلوبى الارادة !) فقد اعتادوا ذلك بعد استمرار المخطط النفسى المتدرج على مدى ما بين عشرة الى خمسة عشر عاما فساروا مسحورين دون استخدام عقولهم لأنها غابت أو فلنقل غيبت بفعلكم ·· !

وانى أسألكم بالله ··· هل القوانين القائمة حاليا ، والموجودة فعلا ، والتى تدعون أنها لا تتفق مع الاسلام ،

لا تعاقب مثل هذه الأفعال ؟ انها شعارات تنادي علنا وجهارا نهارا بالفسق والفجور والعمل الفاضح ، وكان أضعف الايمان — ان كنتم مخلصين فعلا وتبتغون الاصلاح فعلا — أن تقوموا بكتابة تنبيه بسيط ... مجرد لفت نظر ، للأجهزة المعنية ، بأن تتخذ الاجراءات القانونية ازاء هذه الظاهرة ... وما أيسر ذلك ، فالقوانين قائمة فعلا ولن تطلبوا استصدارها ... مجرد تنبيه بمنع استيراد كل ما يحمل شعارات كهذه من ثياب أو أحذية ... واذا دخلت البلاد فيعاقب لابسها وبائعها بتهمة الحض على الفسق والفجور واتيان الفاحشة ...

القوانين موجودة يا سادة وقائمة فعلا ، وتنفيذها من أسهل الأمور ولا يحتاج سوى أربعة أسطر منكم للأجهزة المعنية بدلا من الطين الأرمني والبصاق ودخول المرحاض بالقدم اليمنى قبل اليسرى ... ؟!

لكنكم ، طلاب حكم ... ولستم طلاب اصلاح !

واذا كنت قد ذكرت بعض النماذج من أدوات تفريغ عقول الشباب ، فاني لم أعددها ولم أحصرها فأنتم تعرفونها وجميعنا نعرفها ... ولكن الذى تجاهلتموه هو أن العقوبة القانونية والمنع القانونى ، قائم وموجود ، والأحكام لا حصر لها تعاقب في وضوح وسهولة ويسر وبشكل مباشر ... مجرد لفت نظر يا أصحاب الرسالة ... يا من ملأت أقلامكم وأصواتكم كل مكان ... تتحدث فى كل شيء .. يؤدى الى ... اقناع الناس لا بأن تنفذ تعاليم الاسلام وتطبق قوانيننا التى تستطيع تنفيذها ... بل لكى نضع رؤوسنا على أطباق من الفضة ونقدمها لكم ... أى لتحكمونا ... ؟!

الحبل على الغارب
أو
لعبة الأزياء ... !

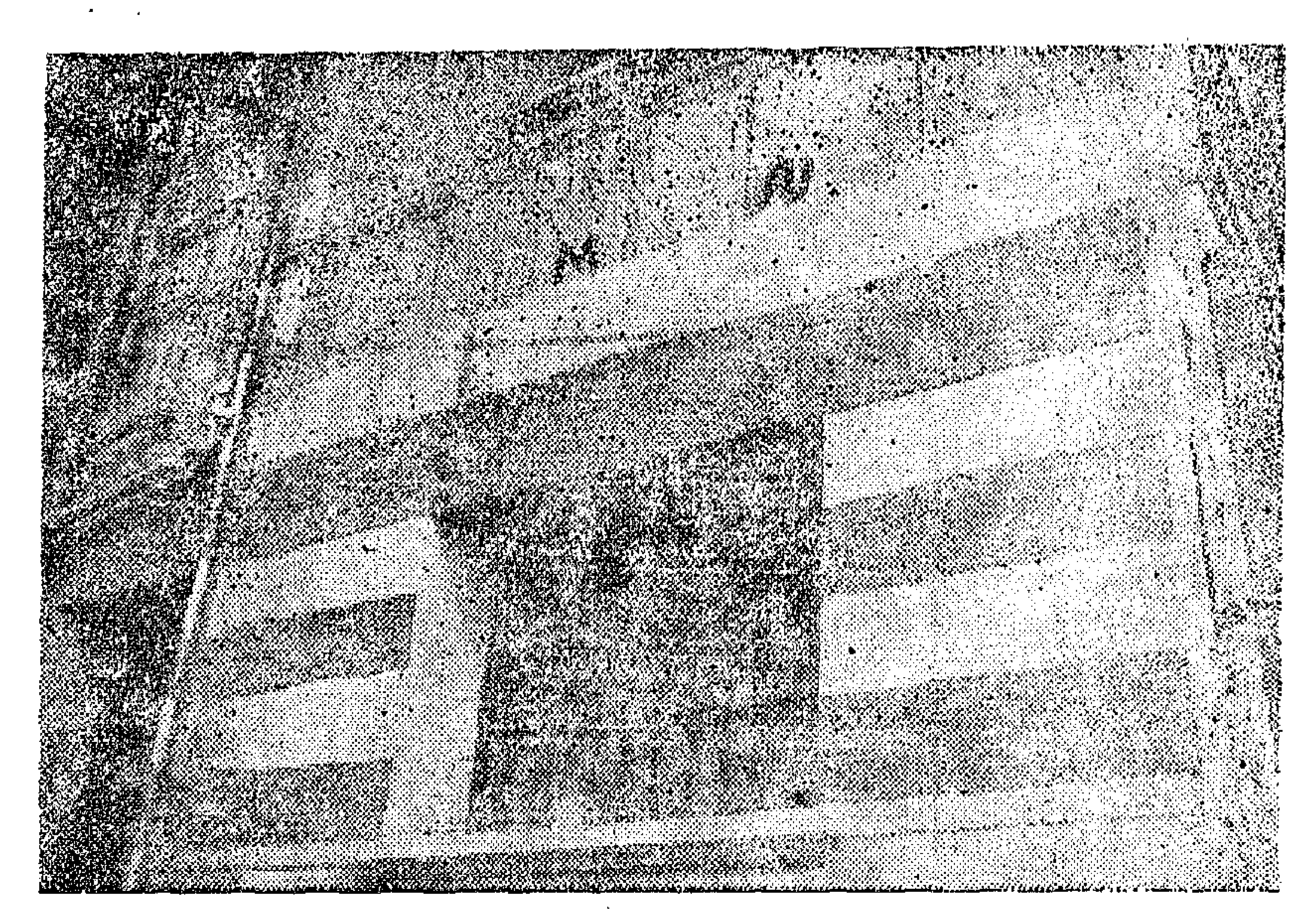
أما وقد فرطتم فى الرسالة وبدأتم بترك الحبل على الغارب بالنسبة لأنفسكم قبل غيركم ... فان باب الاجتهاد الذى أردتم اغلاقه فى وجوهنا نحن ... رأيناه ينفتح على مصراعيه للعامة ، والذين لا علم لهم بأمور الدين وأحكامه ومراميه ... وبعد ان تغذت عقولهم وتشبعت بالخرافة والقصص التافهة ، والطقوس المرذولة التى ينهى عنها الدين والعقل ، وبعد ان فقدوا التمييز بين كلام الله وكلام البشر ... وبعد أن أصبح حديثهم ـ الذى ظنوا أنه موجه الى الله ـ بالطبل والزمر والكلمات الراقصة والهابطة أحيانا ... بعد كل هذا الانفلات اتجه البسطاء الى انفلات آخر ... كل يفعل ما يشاء وأين يشاء فى حركات استعراضية ومزايدات ، ظنوا انها اسلامية وهى لا تخرج عن كونها الفوضى بعينها **فاذا بكل من أراد التظاهر بالتدين ... يحجز رصيفا ليكتب عليه كلمة : مسجد ... ثم يقوم بفرش حصيرتين ويضع قبقابين ... والبعض يكتب على الجدار المقام على حافة الرصيف .. ! أى والله على حافة الرصيف .. يكتب عليه (تبرعوا للمسجد)؟** وآخر يغلق شارعاً جانبيا ويفتح بدروم سكنى ويفرش الحصر ... وأهل الشارع الصغير من أصحاب الورش والسكان أسعدهم ذلك الاغلاق باسم الدين اذ أفترشت سياراتهم عرض الطريق وتحول الى شارع ملاكى لا تتمكن

السيارات العابرة من المرور منه اختصارا للطريق ! وآخر وجد رصيف مبنى السور لاحدى السفارات وعلى جدرانه تابلوهات كهرباء مغلقة بأبواب من الصاج فسارع بكتابة الكلمات فوقها : مسجد ··· مصلى ··· الخ ثم فرش حصيرتين ووضع قبقابين وقلة ··· مع أن هذه الأرصفة التى زخرفوها بالقباقيب والحصر وجدرانها بخطوط شوهاء عشوائية ··· حولها مساجد محترمة كافية وافية ··· هذا خلاف بعض الزوايا التى دخلت هى الأخرى لعبة السباق ، فقامت بالافراط فى الصور والزخارف لكى يقف البسطاء يتبركون ويمسحون على وجوههم ! وأنا اتعجب للمنظر فهم يتبركون امام نكرة لا تاريخ له فى بعض الزوايا ، ولكن الزخارف تجعل البسطاء يهرعون ··· ويدفعون ··· ومن أعجب ما رأيت فى احدى الزوايا التى دخلت سباق الأزياء ، ان الفتى الذى يدهنها كل عام بالزيت وضع حرفى M.N فوق نافذة بالزاوية !! ومن يدرى ربما مع الأيام يتضاعف الرسم الى كلمات انجليزية ··· ثم يتوجه نفس البسطاء بالفاتحة نحو تلك الحروف ؟ ولم لا فالمسألة : افعل ما تشاء ومتى تشاء مادام باسم الاسلام فلن يفتح أحد فمه حتى وان كان يرى خطئا ··· خوفا من اتهام الغوغاء فى الطريق العام له بالكفر والالحاد !! ·

ان الجوامع على بعد خطوات لكن المسألة أصبحت (منظرة!) من واطلاق العنان للتنفيث عن عقد شخصية لا علاقة لها بالاسلام ···

وفى كل مكان تسمع (٣ آذان مختلط ؟) هذا يصدر من زاوية وذاك من بلكونة شخص يعبر عن ايمانه ··· ؟ وثالث

من نقابة أو ناد حتى ان منظر فرش الحصير ووضع القباقيب أصبح يحدث فى ساحة بعض النقابات وفى ابرز مكان ٠٠٠ ولا مانع بعد ان ينتهى الذى يصلى من خرق عينك ليريك انه يصلى أو كأنه يصلى لك وليس لله ! لا مانع انه بعد ذلك يأتى أحد السعاة ليفترشها ساعة القيلولة ٠٠٠ ويضع شبشبه أو حذائه بين القباقيب ٠٠٠



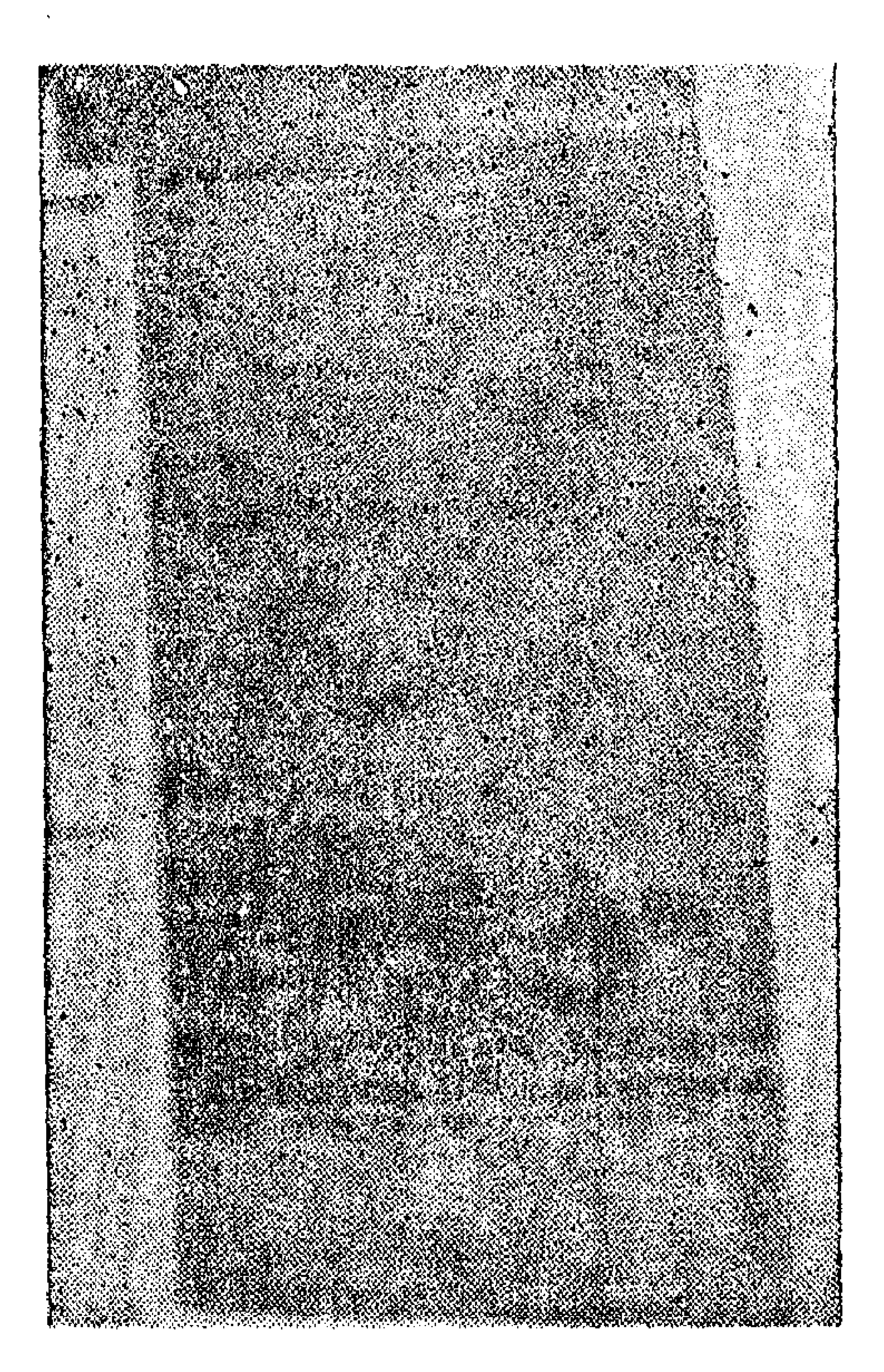
وبينما كان آباءنا وأجدادنا يعرفون ان الصلاة لله ، وكلما كان المكان منعزلا قصيا ، كلما كانت المناجاة أصدق ، اذا بالصلاة اليوم تقام والنظرات ترمقك لتتأكد من انك تراه وتحلف لك بأنه يصلى ٠٠٠ !

وفى الوقت الذى نرى هذا الاستعراض المجوج الذى الذى يرفضه الله ولا يحتاج اليه أبدا ، نرى تناقضا غريبا ٠٠٠ فهنا العكس تماما اذ ترى (جامع منقب !) أى والله فلست مازحة وهل يجوز المزاح فى مثل هذه الامور مهما كنا كفرة فاسقين ؟ ٠

ان طريقا موصلا بين شارع رئيسى وشارع آخـر خلفى يتسلل بعرض متر واحد أو أكثر قليلا بين عمارتين بطـول عشرة أمتار تقريبا كان يمر منه خلق الله المساكين ٠٠من شارع لآخر ، ولكن فرمانا فرديا عشوائيا أغلقه لجعله للصـلاة مع ان المساجد منتشرة والحمد لله ورغم ان كل هذا مقبول حتى وان كان غير مقبول ٠٠٠ الا انى لم افهم لماذا تنقب هذا الممر الذى جعلوا منه جامعا للصلاة ؟ فالباب الصغير الذى عمل له كمدخل شكله جميل وعلى طـراز عربى ٠٠٠ ولكن لا أعرف لـماذا تنقب البـاب بسدادات خشبية قبل البـاب بمترين ؟ لا تسأل لماذا تخفى الباب الجميل بخشبة بيضاء غير مناسبة ؟



الجامع المنقب !



الباب العربى الطراز

وبينما تنقب .. اذا فى أماكن أخرى تفـرد القباقيب على الأرصفة وتكتب أى كلمات على الجدران ... وتفرش الحصر والقلل لعمل ضليلة ساعة القيلولة ولولا وجود لافتة صغيرة علقت خارج الممر لما فهم أحد سر هذا المكان المنقب ولا عرف انه للصـلاة ! ...

والصـــلاة هى حجج ظـريفة تبرر رؤية أجســـاد ممددة للراحة والاسترخاء ... واياك ان يفتح فمه أى شخص والا فهو كافر يحارب دين الله وبيوته ، مع ان الله يرفض ذلك تماما ، ومع ان الله يقبل صلاة عبده الصادق فى أى مكان دون

منظرة أو تظاهرات مصطنعة ، بل وكلما كانت في خلوة كلما كانت العلاقة مع الله أعمق أثناء الصلاة ولكن العديد من هؤلاء يفضل تبادل النظرات مع الرائح والغادى فى النقابة أو النادى ليؤكد لك ، أنت وليس لله ··· أنه يصلى ··· !

بل وأصبح كل من يريد ان يتظاهر في أى نقابة أو ناد بالتقوى يطالب ببناء مسجد داخل النقابة أو النادى حتى وان كان المكان محاطا بعشرات المساجد والزوايا والميكروفونات؟! ولكن هكذا علمتموهم الاسلام وما هذا باسلام ولا تدين ···

هذه السلوكيات العشوائية لا تلتزم ولا تنضبط ، لا بنظام ادارة مرور في سد الشوارع ، ولا بما يرفضه الله من تحويل البدرومات الى مصلى مع ان الجوامع متناثرة حوله ، ولا عن ان هناك وزارة مسئولة اسمها وزارة الأوقاف مفروض منها ان تنظم وتصرح وتدرس ··· قبل اقامة أى مكان باســـم الصلاة أى ضليلة ··· أو ·· أو ···

أما آخر تقليعة تحتاج الى تحليل ودراسة ·· فهى مساجد الشــــاطىء ··· ؟!

أن يقام أى مسجد فى شارع مطل على النيل فهذا مفهوم، أما أن يقام مسجدا على حافة النيل مباشرة فهذا والله أمر قد حيرنى فهمه ؟ والعلم عند الله وحده وعند من يبنونه ، لمـــاذا اختاروا حافة النيل مباشرة ··· ؟ والعجيب ـ وهذا بحث آخر يحتاج لكبار المهندسين لحل ألغازه الهندسية ··· أنه تقام له أعمدة مســـلحة ؟ ·

فلأترك الهندسة واتحدث عن السؤال الذى قفز الى رأسى باعتبـــارى من الكفــرة الزنادقة وهو : بفرض ان هذا مكان

يصلح : ياهل ترى بعد الثامنة والنصف أى بعد صلاة العشاء عندما لا يدخله أى بشر للصـــلاة ... كم يصبح المكـان رومانسيا خفيف الـدم ، خصوصا لو كان له بابا يفتح على النيل مباشرة لادخال النسـيم العليل ... ! وخصوصا أن العمد المسلحة تقام ... تحت ... نعم ، تحت مستوى الطريق العام بعدة أمتار ... ؟!

وبالمناسـبة : كم من كهوف أقيمت على الشواطىء ... تحت وأيضا من الداخل ... أما المبـانى الاخـرى ... العديدة ... المديدة بطـول الشاطىء وعرضها ... فلن أتحدث عنها فى هـذا الكتـاب ... لا لأنها (الحكومة !) وعلى أن أغض الطرف وآخذ لها تعظيم سـلام ... بل لأن الكتاب خاص بالدين والانحرافات التى ترتكب باسمه ...

ولنعد للمسجد المقبل ... والذى سوف أسـميه أنا : « المسجد الرومانسى ! » هـل يمكن لبشر أن يدلنى منذ متى كانت المساجد ـ وهى لا تسهر ليلا ـ تتنزه على حافة شاطىء النيل ... وتحت ارتفاع الشارع ؟

واذا كانت آلاف المسـاجد المشروعة ... المرخصة من جهات الاختصاص وتراعى فيها عدة أمور ـ ومنها التنسيق مع الكثافة السكانية ـ اذا كانت آلاف المساجد المشروعة لم تكفهم ، وقامت كل الأرصفة والممـرات بل وأحـواش بعض المنازل ... كلها كلها تتزركش وتتبختر ، أو حتى تتنقب ، أو استخدمت كلها أو بعضها : ضليلة جميلة ... فما حاجتنا بعد هذا كله لاقامة مسجد على حافة النيل ليغلق ليلا ؟ واللافتات حوله ترفرف وتفترش الرصيف تناديك بالتبرع وتسألك :

من يقرض الله ؟! خسئت وسائل وسلوكيات يتبرأ منها الله ويرفضها ... الله يرفض ان يقترض بهذه الوسائل ...

ان كل فرد جعل اليوم من نفسه : وزارة للأوقاف وادارة للدعوة الاسلامية (المودرن !) وادارة للمرور ، وجهازا يمنح التراخيص ... كل شيء ممكن وجائز حتى وان كان قصده الحصول على ضليلة في ساعة القيلولة ! وهناك أركان ظريفة يمكن ان ينطبق عليها المثل القائل : ولى فيها مآرب أخرى ...

(وكله لله !) واياك أن تفتح فمك فأنت كافر ملحد زنديق !! .

بقى ان نذرف دمعة على التاريخ ... اننا اعتدنا الذهاب لزيارة الجوامع الاثرية التى ترتبط بالاسماء التاريخية ممن اقاموها او دفنوا فيها ، او خاضوا حولها معارك تاريخيه ... أما اليوم فقد اهدر التاريخ ووضعناه (فى الخلاط !) فهذه ضليلة تحمل اسم : مسجد عمر بن الخطاب ... وذاك ممر يحمل اسم : مسجد أبو بكر الصديق ... وهذا رصيف اسمه كذا ... وكذا وكذا ...

ولذلك فالوضع الآن يمكن ان نصوره كما يلى :

أولا : الغاء جميع مهام وزارة الأوقاف وادارة الدعوة وجهاز المرور وهى جهات الاختصاص التى كانت مسئولة عن كل هذه الأمور ، لأن الموضة الحديثة هى : افعل ما تشاء ..!

ثانيا : الغاء دراسة التاريخ لأنه سيصبح بعد حين (موضة قديمة !) اذ سيقرأ أحفادنا بعد مائة عام قصصا تاليف وتلحين منشدى الكاسيتات عن تاريخ أرصفة وممرات:

عمر بن الخطاب ، وأبو بكر الصديق ، بعرض شيق مصحوب بالموسيقى الهستيرية الراقصة ... ويقدموا تاريخ هؤلاء العظماء وما فعله كل منهم من اعمال جليلة على رصيفه أو ممره ... !

ثالثا : سوف توضع أرفف متعددة الطبقات على أبواب هذه الممرات والضليلات ، وترص عليها أنواع الكاسيتات المدسوسة والمجهولة الهوية المليئة بالطبل والزمر الراقص ويكتب على الأرفف :

« اشترى كلام الله يا مؤمن !! »

وهنا يتقدم كتاب اللامعقول من بين مجاذيب الكاسيتات ومفترشي الضليلات يتبارون فى شرح تاريخ عظماء الأرصفة مع أضافة وتطوير من خيالاتهم المريضة ... وتصريحات أدبية تاريخية بأن كل ما كان من قبلهم ليس تاريخا ، بل كلام ملسوس ... !

مشيخة تولد ...
ومشيخة تورث ... !

لم يعد الله يرسل أنبياء أو رسل جدد فكلنا نعرف أن الله قد اختتم الرسالة وأتمها على يد رسله وأنبيائه وكان رسولنا خاتم الأنبياء جميعا ... ليس منا من يناقش أو يدعي غير ذلك ...

وقد انتهى الفقهاء والخلفاء الراشدين من وضع مناهجهم وأتموا ما قد نسميه ـ تجاوزا ـ بمذكرات تفسيرية للدين الاسلامى العظيم ... وهذا أيضا معروف ...

ومعروف أيضا أن كل من يأتى بعد ذلك من المجتهدين انما يتحركون فى هذا الاطار القرآنى الكريم وأننا جميعا لا نأتى بجديد وليس منا رسل ولا أنبياء ، ومهما علت مراكز العلماء وأهل الدين وسمت فهم بشر ... ولم يعد بيننا من ينتمى لعصر الرسالات أو المعجزات ... وانما بيننا ومنا من يعمق عن طريق العلم والدراسة ، مفهوم ومضمون هذه الرسالات وتوضيحها ...

واذا كان هذا هو واجبنا ومفهومنا اليوم فهل يمكن أن يدلنى أحدكم عن معنى ومفهوم ولادة ما يطلقون عليه : (طريقة جديدة ؟!) .

لقد تم النشر عن مولد طريقة جديدة منذ حوالى أربع سنوات مضت ... وقد نوهت بذلك فى كتابى السابق متسائلة عن معنى هذه الولادة الجديدة فى نهاية القرن العشرين

لتضيف على عاتق البسطاء وعقولهم عبئا جديدا يأخذهم بعيدا عن سبيل الفهم الصحيح المباشر لرسالة الاله عن طريق اهل العلم فحسب ، لا يأخذهم الى •• مولد •• جديد ••• وعبادة وثنية جديدة فى نهاية القرن الخامس عشر من الاســــلام والقرن العشرين الميلادى ••• ؟!

لست أقول هذا تزيدا ولا تجنيا ولا كفرا ، فاستمعوا ولا تتعجلوا فان ولادة ما يسمى طريقة جديدة أو مشيخة ان هو الا اضافة (أحد البوتيكات) التى تنتشر وتتجمع من جميع المحافظات لترقص فى المناسبات الكريمة باسم الدين على طول حوارى وشوارع وأزقة القاهرة •

لقد قلت لا تتعجلوا فالصورة لم تستكمل بعد ••• انها أكثر قتامة وأبشع قبحا مما تتصورون •••

ان عبـــادة الأوثان تتجلى بأوضح معانيها فى هـــذه (البوتيكات) القديم منها والحديث ، ولست هنا أجمع وأجمل عدديا ، وانما أوضح الاطار العام لما يحدث بشكل عام •••

ان شـخصا ما يوضع على رأس هـذه « الطريقـة » أو « المشيخة » لا ليراقب تنفيذ الدين أو العبـادات بما يرضى الله ••• وانما ليكون الوثن الجديد ولكن فى صـورة ••• انســان ••• ولأنها عملية طقـوس وبدع يستهجنها الدين والعلم والمنطق ، فان أغلب الذين على رأسها انما قد جاءتهم بالميراث ، أبا عن جد ، تماما مثل عمـارة يمـوت صاحبها فيجرى البحث عن الورثة ، وربما يتضح أن الوريث الوحيد ــ مثلا ــ يقيم فى امريكا طيلة حياته ، فيستدعى لاسـتلام الميراث ••• وهذا ما يحدث تماما ، اذ يفاجأ رجل عادى •••

عادى جـدا ٠٠ بأنه مطلـوب لتنصيبه لان الأب توفاه الله ، ومطلوب وثن جديد فى شكل انسان ليتولى رئاسه المجموعه التى تقتسم الغنائم وتقوم بالتمثيليات ٠٠٠ ويحدث احيانا ــ بل كثيرا ما يحدث ــ ان يكـون هـذا الوثن الجديد ممن يمارسـون حياة اللهـو والعبث ٠٠٠ فيتقمص شخصيتين : واحدة هى شخصيته الطبيعية التى تذهب للكباريه ، وتحتسى الخمـر وتعيش حيـاة يشملها الهـزل والانحراف ٠٠٠ ثم الشـخصية الثانيـة وهى التى يتقمصـها عنـدما يذهب الى هناك ٠٠٠ فتعد الزخـارف والمواكب وتحيط به كوكبة من الذين يقومون بوظيفة : « الديكور ٠٠٠ » ينهالون لثما وتهليلا للشـيخ الذى يعتلى صـهوة جواد ٠٠٠ أو يعتلى مركبة ٠٠٠ والجمـاهير الغفيرة السـاذجة البسيطة تهرع لتقدم النذور وتستلهم البركات وتتمنى أن تحظى باللمسات ٠٠٠ وربما ٠٠ من مخمور أفاق منذ ساعات قليلة ليقوم بالتمثيلية ٠٠٠

أى جرائم ترتكب باسمك أيها الدين العظيم ؟ وأى وثنية تحولت من تمثال من طين الى تمثال تشربت أوصـاله بكل الموبقات وينزف دمه ولحمه خمرا وعبثا وفجورا ٠٠٠ وفوق كل هذا الابتزاز للعقـول والأفئدة البريئة السـاذجة ٠٠٠ ابتزاز للجيوب ونهب الأموال ٠٠٠ ؟!

ومما يزيد الأمر تأكيدا ووضوحا ، ويقطع بأنها ليست سوى مهزلة صنعناها بأيدينا ، ما يحدث أحيانا اذ يتصادف أن يكون الابن ، أو الشخص المطلوب ، من ذوى الضمير فيرفض التمثيلية ويأبى ضميره أن يقوم بعملية الابتزازين : العقل والجيب معا ٠٠٠ فيرفض ٠٠٠ وهنـا يصيح المنـادى :

(... اللى بعــده ... !) وهكذا .. تســتمر اللعبة تحت أعينكم وبمباركتكم ... !

لن نتكلم عن الاستثناء ، بل ونفترض سلفا أن كل صاحب « طريقة » أو « مشيخة » كان فعلا رجلا صالحا ومن اهل العلم والدين والخير ، فكيف نفرض على الجماهير الطيبة هذه المهازل والمسرحيات باسمه وباسم الدين العظيم ؟

ان هذا الاسم الطيب صاحب « المقــام » او الطريقه ، لا يحتاج الا لبعض الخدم يرعون حرمة المكــان ، واماما او خطيبا تضعه الاجهزة المسئوله لتوجيه وخدمه المصلين بالمكان، ثم فى المناسبات بعض الكتب والشروح التى تبين وتوضح علم وتقوى هذا الانسان ... البشر ... ولا يحتــاج الى نصبة من الوثنية والابتزاز ، بل واقول : النصب والاحتيال.. التى تجعل أرواح هؤلاء الصالحين تتململ وكأنها تصيح بنا : كفــوا ... فلقد دنستم جســدى واســمى عليكم اللعنة ، والاسلام برىء منكم ومما تفعلون ...

واذا أنتهينا من مولد ... الشــيخ ... الاقليمى .. فاننا نعانى من ابتزاز وجرائم ترتكب باسم الدين ، على نطاق واسع ... فى قلب القاهرة ، فى مناسبات كبرى ، ربما على رأسها مولد ســـيدنا الحسين فيحدث النصب والابتزاز على جميع المستويات ... ابتزاز للعقــول ... ابتزاز للحرمات والأخلاق ... ابتزاز للجيوب .. ابتزاز للكهرباء أيضا .. وهــذه الأخيرة لها حديث طــويل مع ... وزير الكهــرباء والطــاقة ... لكنها ليست فى هــذا المجــال ولا فى هــذا الكتــاب ...

ان مواكب الابتزاز الكبرى هذه ، انما تحدث على مستوى اعلى بكثير من المستوى الاقليمى ··· حينما تقف وتشل حركة مرور وسط القاهرة سبع ساعات أو أكثر لمسيرة الموكب ··· أتعرفون أى موكب ؟ انهم أعداد لا حصر لها من أصحاب وزبائن (البوتيكات !) الذين تجمعوا من كل المحافظات المصرية ··· يرتدون ألوان قوس قزح ··· يحملون الدفوف ··· يتطوحون على أنغامها ··· وبعضهم تأخذهم عقدهم وأغراضهم ··· فيستعرضون أنفسهم وثيابهم ويقفزون على الأنغام ··· والنساء الساذجات قرب الحسين المنكوب بوثنيتنا (المودرن !) يزغردن ويهللن ··· ويظل الطابور متمايلا متطوحا على أنغام الطبول نصف النهار حتى يتكوم الطابور ويحتل ــ مقتسما ــ الدخانيق ! ما أدراك ما هى ؟ وما أدراك ما الذى يحدث فيها وخلالها ··· ؟

هذه الوثنية الحديثة مسئولية من وجناية من ؟
هذا الابتزاز للعقل والجيب ··· مسئولية من ؟
هذا التجرد والانسلاخ عن اسمى مقاصد الدين ومراميه وتفريغ الروح والعقل من كل أثر لمعناه مسئولية من ؟

واذا تسلم أى : (بيير كاردان) أو أى (كريستيان ديور) أو أى عميل دولى جسوم الشباب بعد تفريغ عقولهم ليلطع عليها اللافتات الحمقاء التى تشوه الشكل والنفس ··· أو كلمات الجنس والفسق والفجور ، فجريمة من ؟ ومن الذى يجب أن يعاقب ··· ؟ ومن الذى يجب أن تنطلق من أجله الدمدمة على الشفاه ، والقرقعة من السيوف ··· ومن هو الذى يعبث بالدين ويفرط فيه ··· ؟ ومن هو الذى أفرغه من مضمونه ،

ودفع الشباب : فريق الى المجـون ... وفريق للافراط فى الشكل على حساب المضمون ؟ .

انى هنا لن أتخطى حدود هذا الكتاب ، ولن أتخطى حدود حجمى وقدرتى ، لأخط بيدى وأقر ، ما الذى يجب عمله عندما ينحـرف الوصى بأمانة الوصـاية ... أو الوكيـل بأمانة الوكالة ... أن لها عديد من الحلول ... لكننى هنا ألتزم .. وكفى أننى أشعلت احدى مصابيح الضوء الأحمر التى أصبحت تشتعل أمثالها بين أصابع كل الغيورين على الأديان والأخلاق والأوطان ...

ولكن ثمة ملاحظة تلح على وتدفعنى لعدم اخفائها لعلنا نفيق ونعرف كيف أخذتنا (زفة الشكل !) بعيدا عن الاسلام لدرجة الكفر ومخالفة الاسلام نفسه .

لقد كنا نتيه بأنفسنا اعجابا على العـالم العربى ، لأننا الدولة العربية الوحيدة التى ليس بها فرائق فجميعنا مصدرنا القرآن الكريم وحده ولا تنعكس أية سـلوكيات ـ فردية ـ على شكل مجتمعنا من الناحية الاسلامية ...

وكنا نتيه بأنفسنا على العالمين بأننا نمتلك الأزهر وهو الكنز العلمى الاسلامى الكبير ... صحيح ان السعودية تمتلك أقدس المقدسات ... وصحيح ان القدس الشريفة ـ المنتهكة ونحن لاهـون بمعارك الأزياء ! ـ هى ثانى الحرمين ومحج اخواننا فى الوطن وشركاؤنا فى العـدو الواحد ... لكننا نتيه أكثر لأننا نملك العلم أكثر ... الأزهر ! ... العلم هو صمام أمن للقداسة من الانحراف ...

ولكن ؟ والماه ... ووانكستاه ... ! ان السعودية وهي ضمن الدول التي كنا نتيه عليها اختيالا بالعلم وأزهره ... لا تسمح بأي شكل من الأشكال التي انتشرت ممارستها لدينا ... ولا تسمح بأي اعتداء دخيل فالدين في المجتمع هناك ... والدين في أماكن العبادة ... محفوظة قداسته ... فهناك ... ممنوع مسح الشبابيك والنوافذ بالأيدي أو تقبيل الجدران والنوافذ فهذه وثنية واشراك بالله ... هناك ممنوع دفع النذور والهبات والتبرعات فأقصى ما يحدث هو انك تستمع لتاريخ الأثر الاسلامي والقابع بساحته فقط للعظة وللعلم ... ثم تقرأ الفاتحة لروح القابع العظيم صاحب الأثر ... هناك لا توجد خزعبلات ... ولا مجاذيب ... ولا طراطير خضراء أو حمراء ... ولا مواكب بملابس كقوس قزح بألوانها ... ولا موسيقات راقصة هستيرية يتمايل عليها المنحرفون باسم الدين ... ولا طرائق ومشيخات تولد ... بمواكب على حصان أبيض أو مركبة مطهمة ... بعد احتساء الخمور واغتراف أنواع المحرمات ...

وجعلتم الشباب يتجه الى تمجيد الذات ... أكثر من التفاني في الوطن والعطاء ... فالكل يصرخ (المصريين أهمه !؟) مع أن التمجيد في الذات يجب ان يترك لغيرنا ... ولا نرفع عقيرتنا به علنا جهارا وليلا نهارا ... التمجيد في العمل واجب ... التمجيد لحماية وحب الوطن واجب ... التمجيد في اتباع مكارم الأخلاق والابتعاد عن نواهي الدين واجب ولكن تمجيد الذات ؟ هذا برز كمركب نقص لتعويض الفراغ الذي أصاب عقولنا ... وتفريغ الدين من مضامينه .

ومن المسئول ؟ أنتم ••• أنتم يا من ترفعون العقيرة ليلا ونهارا منادين بتصويبنا ••• وحكمنا ••• ؟!

وحينما تتفاقم العناية بالمظهر على حساب الجوهر ، تكثر الاستنتاجات والاستنباطات عند الذين صدموا فى حملة المشاعل ، فاذا بهم ينقادوا وينقلبوا بسهولة ، عن نقاء قلب وصفاء سريرة ، وليس عن قصد وتعمد ، ينقلبوا الى منظرين للأشكال أيضا ••• واذا كانت كتب التراث بالآلاف ، فان الأصابع الخفية عمدت الى استدراجهم ضمنا ، الى المظهر ، بل والى الخطأ المستخرج والمستنبط من هذه الكتب ، واخفاء الثمين والدقيق فى مصدره عنهم ••• فقام الأبرياء زهدا منهم (وقرفا !) يعتنقون الفتاوى ••• وما أكثر تدفقها •• ومنها ما شمل الأجساد ومظهرها وملبسها ، بعد هجر العقول ومخبرها ••• فاذا بالأقلام ••• واذا بالعقول المفرغة ، واذا ببيوت الأزياء ••• تحتل كل وقتنا ومجتمعاتنا وصحفنا وساحاتها لنناقش بكل خلجاتنا وملكاتنا قصص الملبس الذى نرتديه ، رجالا ونساء ، فتياتا وفتيانا ••• وافرحوا أيها الأعداء الحقيقيون ••• فقد اندمجنا بكل قوانا نناقش الشكل وتركنا المضمون فأعملوا ما شاء لكم الهوى فى أرضنا وعرضنا فنحن عنكم لاهون متشغلون ••• !

وهنا يأخذنا الحديث الى هذه الظاهرة لنسأل ونتساءل :

هل وضع الاسلام للثياب أطرا ••• أم وضع تفاصيل تحتاج الى استعراضات وبيوت أزياء ••• ؟

وهل ثياب الرجال كانت وقتذاك ذات مواصفات نسميها اسلامية ؟ أم كانت طبيعة وحضارة مرحلة من مراحل التاريخ ؟

بعد ان استغرقتنا هذه الأمور المظهرية وفرضت علينـا واستنفذت أوقاتنا وعقولنـا وجيوبنا ، أجد أنه لا مناص ، ولا مهرب من ايضاحها أيضا ...

لم يكن ما يرتديه البشر في صدر الاسلام زيا اسلاميا ، كما يحلو للبعض أن يحشر ذلك في رؤوس الشباب ... فان الاسلام وضع اطارا اسلاميا للزى ولم يضع زيا اسلاميا ، فمثلا ان نغطى البدن أثناء الصلاة ، فهذا أدب ملاقاة الله ، وهذا اطار اسلامي وليس زيا اسلاميا . والنـاس عندما يرتدون ثياب الاحرام أثناء الحج فانما القصد هو التجرد من الصنعة وعدم ارتداء ما هو مخيط أو مفصل ، عند لقاء الله وزيارة رسوله .. ولم يفرضه الله باعتباره زيا اسلاميا ...

فاذا أمسكنا التاريخ منذ بدىء الخليقة ، سنجد ان ستر الجسد كان يأخذ أشكالا مختلفة تواكب وتتطور مع التقـدم العلمي والحضارى والصـناعي وخلافه ، فعندما كان البشر يمر بمراحله البدائية الأولى تم ستر العورة بجزع شـجرة فهذا حال حضـارى فرضته بدائية المرحلة وعـدم وجـود الصناعة وتقدم الزراعة والعلم ... ثم تدرج بسترها بشيء يصنعه أو يغزله ، وهكذا الى أن عرف الثوب الكامل ... أى الجلباب ... وهو ما كانت قد توصلت اليه الحضـارة وقت الرسول الكريم ... ووقت أن نزل القرآن الكريم على رسوله .

أى أن القرآن لم يفرض على الرسول أو على البشر ارتداء الجلباب ، بل نزل القـرآن ليجد الجلبـاب زيا للعصر ، ولم يفرض على الرجال من المسلمين كزى اسلامى ... واذن فحجة ان هذا هو الزى الذى كان الرسول يرتديه ، وأخذ ذلك ذريعة

لاعتباره زيا اسلاميا فيه مغالطة وفيه سذاجة ، لأنه كان الزى السائد في تلك المرحلة الزمنية قبل وأثناء وبعد نزول الوحى، زيا لجميع الرجال أما التمييز بين المعتقدات والعبادات الأخرى فلم يكن الجلباب هو الذى يميزها ...

ونعود لنقول ان الاسلام لم يضع زيا اسلاميا ، لا للرجل ولا للمرأة ، وانما وضع أطرا اسلامية للزى ، وعندما نتدخل لتصويب أى خطأ ، فانما نصوب الأطر العامة التى تخالف المضمون ، أما الاصرار على لبس جلباب معين للرجل بهذه الحجة فقلنا انه غير مقرر وانما كان التدخل ، فى الأطر المتعلقة بوقار مقابلة الله للصلاة أو الحج ...

وكذلك بالنسبة للمرأة فلم يقل الاسلام ان الثوب الاسلامى يكون ــ مثلا ــ (دوبل كلوش !) يبدأ من الرقبة حتى سطح الأرض لينزل فى شكل خيمة ، بل أنه وضع أطرا عامة الغرض منها الاحتشام وعدم استعراض المفاتن ... الخ ذلك مما ليس محل تفصيله هذه السطور ...

ولكن الذين خططوا لاستلاب عقولنا لتحويلها نحو الشكل على حساب المضمون ، لنظل نناقش ونناقش ، ونسرف فى المناقشة ونسرف فى الاختلاف ، ونسرف فى أشياء أخرى لزوم الزى ... استطاعوا ان يحولوا الأمر الى معارك كلامية استعراضية تبعد بنا عن الجوهر لتتحول بعد حين الى ما هو أنسب وأحسن (زى اسلامى !) وطبعا من لزوميات هذه الزفة ــ المخططة ــ ان تظهر عدة بيوت ومؤسسات تملأ الكون وأجهزة اعلامه ، ضجيجا ، بأنها تعرض وتتفنن فى تقديم آخر صيحة للزى الاسلامى ... ثم ... تأتى : أخوات

مسلمات ... ليقمن بعرض أحدث الأزياء الاسلامية وأشيكها ... وهكذا سال لعابى لأرتدى الزى الاسلامى الذى لم يخترعه الاسلام بل اخترعته دور الأزياء ، فقط ، لأرتدى آخر صيحة ! ولكن منعنى من تنفيذ نزوتى أمر واحد ، هو انى لا أملك الوقت لمتابعة لعبة الأزياء ، ولا أملك المال لها أيضا ! وهكذا خسرت الدخول فى هذه المباراة ! والآن ، أعود ، بعد هذه النزوة النسائية ، أو قل الطرفة النسائية ، الى صلب الموضوع مرة أخرى ...

لما بدأت زفة الأشكال ، وانتشر المد الثورى للأزياء الاسلامية ... ! قامت دور الحياكة جميعها تتبارى وتعرض أنها تقوم بتفصيل أحدث وآخر صيحة أزياء اسلامية ... وقرأت يوما قيام احتفال لعرض أزياء اسلامية ... بل وقرأت يوما ان محجبة تركت دراسة ماجستير ... لتعرض أزياء المحجبات ... !

وهكذا استخدم الاسلام للدعاية مرتين ! الأولى دعاية شخصية عن الماجستير ، التى هى أيضا أصبحت للموضة والأناقة هى والدكتوراه ، وللديكور أيضا بعد أن كان يسعى اليها المتبتلون فى محراب العلم وآفاقه ... والمرة الثانية فى الدعاية للأزياء ... !

أرأيتم ماذا فعلنا بالاسلام والى أى مدى يصل تسخيره للدعاية ... من كل الأنواع ؟ .

وذات يوم جاءتنى فتاة رقيقة الحال لتساعدنى فى بعض أعمال المنزل ، كانت : « منقبة » وليست محجبة ... ! وأروع ما اعجبنى كان (قفازها الاسلامى !) فهو مثل قفاز الملكات

في الزمان الغابر ••• ومع انني استخدم القفازات صيفا لحماية يدى من الشمس وشتاء من البرد ، الا انني لم استخدم سوى قفازات بسيطة ، غير اسلامية ، لأنني من فئة الكفار !

وقامت الفتاة تجادلني في الاسلام ••• واذا بها وهي تقول ما تقول في سذاجة وبساطة شديدة ثم ضربت مثلا وكان تفسيرها يؤدى الى تفرقة العرب ••• فأفهمتها أن المثل لا يعنى العرب عامة ، بل الأعراب وهم ــ قصدا ومعنى ــ يعنى حالة وظرفا بعينه ••• فأصرت على تجهيلى ••• ثم وعدتنى بالرجوع للسؤال لأنى أنا جاهلة طبعا ••• !

أرجو ان لا تتعجبوا للاطالة في هذه القصة لأنى أسردها لأقدم لكم مفاجأة من اسلامهم ••• فالمنقبة ذات القفاز والخيمة المتحركة وخروم ببصاصات للعيون ••• والتى تجادلنى وتصر على تجهيلى فى سذاجة وطيبة هى : أمية لا تقرأ ولا تكتب ••• ؟ فبالله اسألكم : ألم يكن الأفضل والأهم ــ ان كنتم صادقين ــ ان تقوموا بمحو أميتها ••• لتمكينها من التحصيل والمجادلة عن علم وفهم ؟ وهذا هو أول أبجديات الاسلام ••• فك أمية الجاهل ليقرأ •••

وأعود الى قصة الأزياء ••• والاستعراضات ••• والحفلات •• والماجستيرات ••• « والبصاصات » ••• وخلافه ، فأقول : لعل « كريستيان ديور » « وبيير كاردان » و « أديداس » وأى عميل آخر ممن يخدمون أهداف الأعداء ويصدرون ــ لحسابه ــ الأزياء ••• لعل هؤلاء يتجاسرون ويتشجعون ، اذا دعاهم أحد زعماء الاسلام من خريجى الأزهر فى عهد ازدهاره ، فى السنوات العشر أو الخمسة عشر

الأخيرة ، عندما يستعد لحكم الكفار أمثالنا فيعد لنا أجمل الأزياء الاسلامية وأحلاها ، استعدادا لاستقبال حكمه الكريم ؟! .

ولما لا ؟ أوليسوا أصحاب الفضل في اطلاق الصيحة الأولى « للزى الاسلامى ؟! » .

ومن خلال ... النوايا الطيبة ... !

ان المتطرفون – ودون أن يعلموا – وانما تدفعهم قوى خفية ، لا يد لهم فيها ، ولكن قوة الارهاف والحساسية التي يخلقها التطرف في نفوسهم ، تساعد على تغذية مشاعرهم الدينية بشحنات تبدو في ظاهرها رنانة مثالية الهدف ... لتجعل منها أغلفة تخفي وراءها وبداخلها خططا خطيرة ...

وحتى لا أفهم خطئا أحدد هذه القوى الخفية التي أقصدها هنا وهي : الصهيونية العالمية ... حيث يتسلل المخطط – المدروس قبيل وصوله – في هدوء وسلاسة تبدو للناظر طبيعية في أسبابها ، وانها تولدت نتيجة لأحداث محلية خالصة ، وكأن لا علاقة لها بأي مخطط مدروس ...

وبما ان هذا الايضاح يحتاج الى مجلدات منفصلة ، لا يمكن ان يضمها هذا الكتاب الذى يبحث نقاط محددة ... فانى سأكتفى بمثل واحد لمخطط ثم تنفيذه باحكام دون أن يشارك من نفذوه في تخطيطه ، بل تلبسهم متسللا دون أن يعوا خلفيته ونفذوه بكل البراءة ... وانى أذكره لعلاقته الوثيقة بخطط التهويد وهدم ديننا ونحن في غفلة سابحون ..

بعد توقيع اتفاقية (السلام !) دخلت مصر رؤوس الأموال الصهيونية بكل عنفوانها فشكلت ٩٠ في المائة من أموال الانفتاح خصوصا في المجالات ... الخاصة ... وليس في القطاع العام ... ولأنها تتقمص أسماء وجنسيات تخفى

حقيقتها ومصادرها ، فقد بدت من ظاهرها وكأنها لا ترتبط بها ولا علاقة لها ...

وبدأت الخطة مرحلتها الأولى بجعل تلك المؤسسات الانفتاحية الخاصة تغلق يوم الجمعة ويوم السبت ... وهو تنفيذ هادىء للمخطط فى مرحلته الأولى لأن يوم الجمعة لا يمس ... واذا علمنا ان يوم السبت عندهم يختلف اهتمامهم به عن يوم الجمعة عند المسلمين ويوم الأحد عند المسيحيين فهو عند الفريقين يوم راحة فحسب ، ويوم صلاة فى الجامع والكنيسة ...

أما عند اليهود فهو ليس كذلك بل يرتبط بصميم المعتقد الدينى لدرجة تعتبر ان عدم العمل فيه ليس لمجرد الراحة والصلاة وانما هو جزء لا يتجزأ من العقيدة ...

وتم تنفيذ المرحلة الأولى ــ بهدوء ظريف ــ فى مؤسسات الانفتاح بالقطاع الخاص ... كبداية ... « ولا من شاف ولا من درى ! » .

بقى استخدام الذكاء وعلم النفس ــ كالعادة ــ فى تنفيذ الجزء التالى والأهم ، بحيث لا يشعر به أى انسان كما حدث فى الأول :

ضجة وحديث عن الازدحام ... وصعوبة المواصلات .. شىء طبيعى ... ضجة وحديث عن الوقت الضائع فى المصالح الحكومية نتيجة هذه الساعات المهدرة .. شىء طبيعى أيضا .. ولماذا لا تجمع هذه الساعات المهدرة وتوفر بها يوم عمل يريح المواصلات والجماهير ؟ شىء طبيعى ... وأيضا ... محلى

مائة في المائة ··· البحث يشتد والجدل يمتد ··· اذن : فليكن الخميس والجمعة لمن يريد ··· والجمعة والسبت لمن يريد ··· لا يزال المخطط في تخفيه رغم بروز رأسه الى خارج الميدان فيوم الخميس مطروح ··· كما ان يوم الجمعة ثابت ··· ويوم السبت اختياري ·· وعلى الله الاتكال ·· !

ضجة وجلبة وضوضاء ··· ! الأطفال اجازتهم في يوم ··· وبعض الأزواج اجازتهم في يوم ··· والزوجات في يوم آخر ··· الأسرة لا تجمتع في الاجازة الأسبوعية ··· اذن توحيد الأجازة ··· في يوم السبت مع الجمعة ··· وتهود الأزهر بكل أجنحته ومؤسساته ولا تزال أصواتكم تصيح : الله أكبر ولله الحمد ··· ؟! اللهم رفقا بنا مما نحمدك عليه ··· فهو من صنع أيدينا وما صنعته بنا يارب ···

لقد تهود الأزهر ·· وما هودته ··· ولكن حملة رسالتك ··· على عيونهم غشاوة ··· ومع ذلك : يريدون حكمنا !! الله أكبر مما يفعلون ؟ ·

لقد هودوه في غير جلبة ولا ضوضاء الا كلمتك يارب : ·· الله أكبر ··· ؟!

هل حقا نحن مختلفون ؟

أما هم ، فلنا معهم موقف آخر نبدأه بالسؤال : هل بيننا وبينهم خلاف ؟ .

والاجابة : لا ، ونعم ...

لا خلاف على الأصل ، لأن ما يحتوى عليه الدين الاسلامي ، عبارة عن قيم عليا وأسس عادلة للمجتمع والحياة والعلاقات البشرية والأسرية ، بها من السمو والخير ما لا يختلف عليه بشر . وبالتالي ، حتى وان كنا كفرة غير مؤمنين فى نظر الذين نصبوا من أنفسهم آلهة يحكمون ويحاكمون بدلا من الرب سبحانه ، أقول حتى وان كنا كفرة غير مؤمنين ، فان القوانين التى تحكمنا الآن هى قيم عليا لاستتباب العدالة فى الأرض وتنظيم العلاقات بين الناس ، وبناء عليه اذا كان القرآن يأتى بعدالة أحكم منها ، وقيم أرفع منها ، فما الذى يضيرنا فيها حتى وان كنا كافرين فى نظركم أيها المؤمنون وحدكم ؟! .

اذن فالاجابة أنه لا خلاف . ولكن ، كيف يتفق الاتفاق والاختلاف فى آن واحد ؟ أى كيف أننا نقول نعم هناك اختلاف ، بعد أن قلنا لا ، لا يوجد اختلاف ؟ .

لأن الاختلاف بيننا وبينكم ليس على الأصل ، أى ليس رفضا للقرآن الكريم ومثله العليا التى جمعت فأوعت ، ورحمت فوسعت ، ولكننا نرفض منطقكم والتواء أسلوبكم ، فان لم تحكمونا أصبحنا كفرة ، وان لم نتبعكم أصبحنا زنادقة ، وكأن

الله أعطاكم توكيــلا عن البشر أو جعلكم أوصـياء على قصر لا يفقهون !! "

ما معنى الحكم بالقرآن ؟ هل سنأخذ الآيات أخذا بحرفيتها ثم نحكم بها (وكان الله يحب المحسنين ؟!) بالتأكيد سيحدث أن نأخذ مضـمون الآيات ومقصدها ثم نعمل لها ما يمكن أن نسميه - تجاوزا - مذكرة تفسيرية بلغة أهـل القـانون ...

اذن فاننا سنضع منه ، أو نضع على هـديه ، أو نستلهم منه ، ما قصد اليه من أحكام ...

لست اظن اى اسلوب مهما كان ملتويا لهؤلاء المؤمنين ، وهم يردون على سؤالنا - نحن معشر الكفرة ! - سيقول : - لا لن توضع مذكرة تفسيرية ، وانا سنأخذه كما هو بالحـرف والكلمة ؟ ان هذا لم يحدث ، حتى وقت نزوله على الرســول الكريم ، حين كانت الأمصار محدودة والعلاقات والاتصالات شبه مفقودة وعدد البشر لا يزيد على بضعة آلاف ، لم يحدث أن حكم القرآن بدون مذكرة تفسيرية ، لأن القـرآن كما قلنا ، مضمون وجوهر قبل أن يكون شـكلا ولفظا ... ولذا كان الحوار والاجتهاد ، وكان مجلس الرسول للفتوى والتوجيه .. وكانت بعـده الاجتهادات والفتاوى والمذاهب ... ولا نزال حتى يومنا هذا ، بعد آلاف السنين عندما يشتد بيننا الخلاف على جزئية يستعصى حلها نقول : فلنذهب لدار الافتاء ونستخرج فتوى ... اذن ، فقد اتفقنا ، سواء شئنا أو لم نشأ ، أن هذا أمر واقع وليس بالاختيــار ، فلا يمكننا أن نرى واقعـة ما فنصرخ فجأة منفذين آية كريمة ؟ لم يحدث كما قلنـا ان كان القرآن شكلا بغير مضمون ، وجهـد وتفسير ، وملاءمة عند التطبيق ...

اذن ، فاننا فى جميع الأحوال سنضع قوانين مستلهمة ومتفقة متسقة ، مع الدين الاسلامى وشريعته ...

وهذا هو ما حدث كما سبق أن بينا ذلك فى باب : « ما هى الدولة الدينية ؟ » اذ ظل رجال القانون ورجال الفقه والشريعة الاسلامية فى دراسة دامت ست سنوات كاملة حتى انتهوا من اعلانه فى عام ١٩٤٨ ليبدأ تطبيقه فى عام ١٩٤٩ ولا داعى لأن نكرر ما سبق أن قلناه من أن ما يطلق اليوم على نطاق واسع بين المتدينين ، من ان قوانيننا فرنسية هو فرية واشاعة تستند الى فترات سابقة على هذا التاريخ ... وان الدولة أيضا أعلنت رسميا فى عام ١٩٥٦ فى دستورها ان الشريعة الاسلامية مرجعها ومصدرها وان لغتها هى العربية . وأن انتماءها عربيا ... أما ما قد نختلف عليه فهو أيضا كما بينا ، انما على جزئيات محدودة جدا فى قانون العقوبات وأغلبها فى باب الحدود ولم يرفض أى انسان ، حاكما أو محكوما ، ضرورة اعادة النظر فيها والعودة الى تصحيحها ...

يتضح من هذا ، ومعذرة فيما أقول ، أنكم تكذبون ، وتزيفون علينا ما لم نقله ولم نقصد اليه ، فنحن لم نرفض القرآن مرجعنا ومصدرنا ، ولكننا نرفض منطقكم ، وعندما نرفضه ، تدعون أننا نرفض القرآن ؟ .

عجبا ! فاذا لم نقبل سلوككم ومنطقكم معناه أننا نرفض الاسلام ويا له من ارهاب فكرى عجيب ! .

اذن ، نعم ، نحن نقبل الاسلام وحاشانا أن نرفضه ...

واذن ، نعم ، نحن نقبل تصويب ما يختلف مع الاسلام ان وجد ما يحتاج لتصويب ولا نرفضه ...

ولكن لا لوصايتكم علينـا ، وحكمكم لنـا ، فما أنتم إلا مجتهدون مثلنا ، فان أردتم الاجتهاد فانما في حدود أننا جميعا مسلمون ، وأن قوانيننا لا تخالف الدين كأسـاس ، بل هي مستمدة منه وانما نجتهـد ــ معا جميعا ــ لتصحيح ما يخالفه منهـا .

ولا للحكم الديني ، أو الدولة الدينية ، فلا يوجد ما يسمى بالحكم الديني ، وانما حكم على هدى الدين ، ومنه تستمد الأسس والتعاليم ...

كفوا عن اتهامنا بالكفر أو الخوف من الدين ، فلا نخاف الا غروركم ونواياكم الخفيـة التى تتطلع للحـكم ولا تتطلع للتصـويب ، ولو كان التصـويب هدفكم لبدأتم بأنفسـكم وبأزهركم ، كما سبق أن بينا ، ولقمتم بتصويب المجتمع الذى لم يدفعه للفسق والفجور الا تقاعسكم وبعدكم عن جادة الدين . وعدم اختياركم الطريق السليم للهـداية ، بل وعلى العكس كنتم ــ أى الغالبية الساحقة ــ سببا فى توجيه الجماهير نحـو خزعبلات وأشكال ضارة لا علاقة لها بالدين ، بسبب الخواء الذى بداخلكم والذى انعكس على البسـطاء فمالوا عن الفهم الصحيح وانجرفت بهم موجة الشكل على حساب المضمون حتى خرجت عن الشكل أيضـا وعاشت وعايشت صـورا يرفضها الاسلام ولا تمت اليه بصلة مما سنبين جوانب منه لا حصرا فى باب : كشف حسابكم ! : نعم ، ان كل ما تقدم ليس كافيا ، وان كشفه لا يكفى لازالة الاقنعة التى على وجوهكم التى دلت على التقصير والقصـور ... فأن فى الجعبة الكثير لنرى من المسئول عما صار اليه المجتمع من تمزق وتناقض وفجور طغى

على السطح فأخفى الخير وأوقف أهله عاجزين مقيدى الأيدى مع أنهم قادرين وأجابيين وليسوا غائبين ولا مغيبين ، ولكن لابد من فك قيودهم بازالة الطين عن الماسة الثمينة وكشف الأقنعة عن وجوه المقنعين ... !

ما هــو دور أفاضل العلمــاء ؟

أكرر ما قلته فى بدايات هذا الكتاب من ان العلماء الأجلاء لم يندثروا ، كما انهم لم يرضوا عما أصاب العلم واللغــة ، وما صــارت اليه الأمور ... ولكنهم على كثرتهم ، أصبحوا قلة تجــاه هــذا الكم الغفير من كثرة غالبة بغير ثقل ، نتيجة ما سبق أن ناقشناه فى أبواب هذا الكتاب ، وناقشه ولازال يناقشه العديد من الأقــلام الغيورة على الحقيقة وعلى تصحيح المسيرة التى انحرفت بها هذه الكثرة العددية فحسب ، والتى انتشرت تطفو على السطح تغطى على المعــدن النفيس وتحجبه ، والتى جرفت خلفها الشـــباب الغد بمظنة أنهم يقودونهم الى الطريق السليم القويم ...

وهــذا لا يعنى اننا لا نختلف معهم فى كثير من الجزئيات وبعض المواقف ، لكن هــذا الاختــلاف لا يفقدنا احترامهم ، ولا يدفعنا لانكار علمهم وفضلهم ... ونحن هنا نناشدهم أن يســارعوا بمــد الأيدى ، لنتكاتف جميعا ، قبــل ان يتوفانا ويتوفاهم الله ، لوقف دفة الانحــرافات ، وتعـــديل مسيرة الركب واســتعادة هيبة اللغــة والدين الحقيقية ومضمونها ، وتطهيرها مما اكتنفها واعتورها من هــزل وعبث وســـطحية وجهالة ، ولولا أن هذا الكتاب قد خصص الكلام فيه عما أصاب اللغة كأداة للدين ومفتاح لكنوزه ، لكنا تحدثنا عن هذا الجهاز المحنط المسمى : « مجمع اللغة العربية » ، لكن هنــا ليس مكان الحديث عنه ...

والأفاضل من علمائنا اختلفت مواقفهم وتعددت ، فالبعض منهم راح يدافع عما في الاسلام من خير ونقاء ، وكأنه في موقف دفاع عن تهمة وجهت للاسلام نفسه ! بل وأن أحد هؤلاء التقاة الأجلاء قال في مقال له : « ... هل يذكر الذين يتحدثون عن تطبيق الشريعة الاسلامية ، وما يزعمون فيها من عنف وشدة واستبداد و ... الخ هل يذكر هؤلاء أن أول خليفة للمسلمين وضع من أصــول الديموقراطية ما لم تصل اليه أي دولة في التاريخ الحديث ؟ » .

سيدي : دعني أقول لك أولا اننا معك الى مدى أبعد مما تقول ، لقد قلت ان أول خليفة للمسلمين وضع من أصــول الديموقراطية ما لم تصل اليه أي دولة في التاريخ الحديث ، ونحن نقول : هذا صحيح ولا خلاف ، بل ولماذا تتحدث عما وضعه أول خليفة من ديموقراطية ، بينما هي مجــرد جزء من ديموقراطية المصــدر الذي أخذ عنه هــذا الخليفة ؟ ان الدين الاسلامي ليس بحاجة الى شرح ما فيه من ديموقراطية وعــدالة واشتراكية . ولكن اسمح لي يا سيدي أنك تتحدث عن نفسك وعما فيهــا من حب للخير وبعــد عن الشر ... تتحدثون عن معتقداتكم أنتم وعن الخلفاء العادلين وعن الاسلام العظيم ... بينما نحن معكم في خندق واحد لا خلاف بيننا في هذا النطاق ، فمعاذ الله أن يكون الخلاف على اسلام ودين ، بل الخلاف خارج هذا النطاق تماما كما سبق أن قلت وقال غيري من قبلي وسوف يقول غيري من بعدي ... ان الدين مصدرنا ومرجعنا وهادينا ، نعم ، أما الحكم الديني أو الدولة الدينية فلا ... ولا داعي لأن تفعلوا مثلهم ، فهم انما يغالطون عامدين متعمدين لغرض في نفس يعقوب ، فيتهموننا برفض الدين والعياذ بالله ...

انكم تتحدثون عن عظمة الاسلام وديموقراطيته ونحن نتحدث عن الذين رفعوا حناجرهم بمغالطات تبتعد وتختلف عما نقصد اليه ...

انكم تتحدثون عن أن الاسلام يمكن ان ينفذ بعدالة وبرفق وبسمو مقصد ... نعم ، لأنه هو كذلك ... ولهذا فنحن نأخذ قوانيننا منه وننفذ قيمه ومضامينه ... ولكن بغير حكام دينيون لأننا كما قلنا وقال التاريخ : نهتدى بأحكامه ونستمد منه كل ما فيه لصالح البشرية ولكن لا يوجد ما يسمى بدولة دينية .. فالانسان ، كبشر ، يخطىء ، والدين اذا كان فى يده هداية وهديا ، أمكن تصحيحه وتقويمه كبشر يخطىء ... أما اذا أصبح الدين في يده كقانون فتلك هى الطامة الكبرى ... فمن يحاسبه اذا أخطأ ؟ .

فلنستمع معا الى هذا الخبر الصغير الذى نشر فى صحيفة يومية ، حتى نعرف اننا لا نختلف على الأصل ولا على الشريعة ولا على القوانين المستمدة من الشريعة وهديها :

الخبر هو ان رجلا قتل جارته الجامعية بمطواه قرن غزال لرفضها الزواج منه لأنها ستتزوج بزميلها فى الجامعة . وأن القاضى حكم عليه بخمس سنوات سجن باعتباره ضرب أفضى الى موت ... !

فهل المطواة قرن غزال تعتبر : ضرب أفضى الى موت ؟ وهل هذا ذنب القانون نفسه أم ذنب القائمين على تنفيذه ..؟

وبعد هذه الطرافة المأساوية لنعد الى موضوعنا فنقول : اننا انحرفنا جميعا ... ثم اتهمنا القوانين بأنها غير اسلامية ...

ان السلطة في يد رجل الدين خطر على الدين والدنيا ، والعدالة اذا توفرت في نفس البعض وفقدت في نفس البعض أيام سلفنا ، فكيف ولماذا نضعها في يد من لا أهلية لهم ولا صلاحية ؟ ان الدين هداية وليس سلطة حكومية ، ورجل الدين هاد وموجه للدين والدنيا وليس حاكما وهذه قاعدة ليس في التاريخ القديم فحسب ، فخذوا مثلا « جماعة الاخوان المسلمين » انها في عصر حسن البنا رحمه الله شيء ... وهي بذاتها بعد حسن البنا كانت شيئا آخر ... مع ان الجماعة واحدة والفرق الزمني لا يزيد عن بضع سنوات وهذا شيء أعرفه وكابدته بنفسي ولم يقصه على أحد ...

واليك يا سيدى أنت والأفاضل أمثالك عينة أخرى حدثت معي شخصيا وليست رواية منقولة عن أحد :

في أواخر عام ١٩٥١ قمت بالمشاركة في عمل وطني مع خمسة رجال يمثلون جميع الطوائف العاملة : فلاحين وطلبة وعمال ومثقفين وكنت وحدى أمثل المرأة المصرية في هذه الحركة لاجبار الحكومة على الغاء معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا ، واخراج الانجليز من قناة السويس .

وفي الوقت الذى اتسعت فيه حركتنا حتى أصبحت ثورة شعبية ...

وفي الوقت الذى توافد علينا في مقرنا كل زعماء النضال المصرى وقتذاك بلا استثناء ، مؤيدين مؤازرين ...

وفي الوقت الذى شاركتنا فيه جماهير الأقاليم المصرية بالبرق أو بالحضور ، وشاركتنا جماهير الدول العربية الشقيقة

معلنة التضـــامن معنا ، والاعتصـــام حتى يتحقـق مطلبنـا الوطنى ...

وفى الوقت الذى تابعت حركتنا اذاعات العالم بما فى ذلك لندن وباريس ...

وفى الوقت الذى تقـــدم فيه عضــو بالبرلمان البريطانى بســؤال لوزير خارجيته عما ستتخذه بريطانيــا ازاء هــذا الموقف ...

أقول أثناء كل هذا وخلاله كانت احدى الجماعات الاسلامية المتطـرفة لا يكف أفـرادها عن التردد علينـــا ذهــابا وايابا لا للمشاركة فى نضال الأمة الثائرة كلها ، ولكن ليكرروا على مسامعى كلمة واحدة هى :

ـ اذهبـى يا امـرأة الى دارك !!

ولم يكفهم هذا ، بل أنهم كتبوا مقالا عن حركتنا التى كانت أكثر من جادة والتى أقامت العالم كله ليساندها ويتابعها ... وكانت صحف مصر تفرد الأعمدة والصفحات لمتابعة الحـركة يوميا ، اذا بالمجلة تكتب وتقول :

« هذا الاتجاه المائع ينكره الاسلام ! »

أرأيت يا سيدى كيف أن الاسلام العظيم استخدم مشجبا للأغراض المعاكســة ... حتى فى أصعب الأوقات وأعظمهـا وأدقهـا ؟ .

واليك يا ســـيدى واقعة أخرى حدثت معى ولم يروها لى أحد :

بعد اعـــلان مولد المقاومة الشـــعبية ضد الاستعمار البريطانى فى القناة وذلك فى نفس العام ١٩٥١ وبعد الغاء المعاهدة اجتمعت كل فئات العمل النسائى الوطنى والاجتماعى والاسلامى فى حركة واحدة باسم « اللجنة النسائية للمقاومة الشـعبية ••• » وبينما مصر كلها تغلى كالمرجـل ، برجالها ونسائها ، وتمد يد العون الفعلى للمناضلين فى منطقة القناة ••• ذهب أربعة من رائدات النضال لمقابلة زعمـاء الاخوان المسلمين ـ طبعا بعد حسن البنـا رحمه الله ـ نناشدهم ضم الصفوف لتأتى المقاومة بنتائج اجماعية ••• وكان بيننا زعيمة نسائية معروفة ، وكنت أنا واحدة من الأربعة ••• ولكن كل ما حصلنا عليه هو ابتسامة متحفظة من محدثنا ثم قال ما معناه :

ـ ألا تذهبـن لشئونكن وتتركوا لنا هذا ؟

سيدى : هذا كله حدث فى وقت ســابق للتدهور الذى وصلنـا اليه أخيرا ، فما بالك الآن وبعـد ما صرنا اليه من حـال ؟ •

وهكذا فانكم تتحدثون عن أنفسكم وعن نواياكم ، وربما عن فهمكم الصحيح للاسلام ؟ ولكن غيركم هل عرفتم ما يقولون وكيف يفسرون الاسلام ، وكيف يتوعدون ؟ •

لستم بحاجة لنقدم لكم ما يقولون ••• وما يفعلون ••• فانكم أعلم منا بكل ذلك ••• ولكن دعونا نذكر ونسمع معا هذه المقتطفات من كتاب لم أقرأه لأحد متطرفيهم ، ولكن قرأت فقرات منه فى مقال للدكتور فـرج فـوده يقول فيه المؤلف ويدعـو : « للقتال لاعلاء كلمة الله فى الأرض » ونحن نعرف جميعا ان للقتال فى الاسلام أسباب ومواصفات لأنه ليس دين

قتل ولا قتال ، وانما كان ذلك فى مرحلة مقاتلة الكفار من عبدة الأوثان وضد أناس محددين وهم الذين بادؤوا الرسول بالحرب ، ولم يبدأ الاسلام حربا ليجبر الناس على الاسلام أو ليصحح اسلامهم ... ولكن سيادته ... وليس فى معركة مع الكفار ايام الرســـول ... وانما اليوم ... وليس مع أعداء البشرية ومن يحتلون أرضنا وينهكون مقدساتنا بل ، يستعد للحرب ضدى وضدك وضد كل من لا يسمع أوامره التى دونها القتال ! ولعل سيادته ــ دون أن ندرى ــ قد جاء برسالة جديدة ، أو لعله أخذ من الله صكا بمحاربتنا ، ونحن أيضا لا ندرى ؟! واســتمر يؤكد ان قتاله ليس بالقول وانما بالسيف اذ يقول : « لابد للمد أن يفيض ولابد للسدود ان تنهار ، ولابد للقــردة أن يغمرهم المــوج والركام ، وعندئذ فلتتنزل سور قرآنية فى الجهاد ، وتسمع دمدمة الآيات ، ومن وراءها فرقعة الســلاح ، وتضرب السيئة بالسيئة ، وتعالج الغدر بالقصــاص ، وتصب النقمــة على المتلاعبين بالدين ، وتكيل لهم الضربات على نحو يثير الرعب فى القلوب » ص ١٢٣

وهكذا فهو يتوقع تنزيل قرآنى جديد ــ اســتغفر الله ! ــ ليبشر بفرقعة الســلاح ؟! وهو يتوعدنا جميعا ويذكرنا بأنه يعد لنا « مفرمة » أشد وأعتى من « المفرمة الساداتية ! » .

فأين يا ســــيدى كتاب الله العظيم ، فيما يقـــول هؤلاء اليــوم ؟ .

وأين هى الوقائع التى تستوجب اليوم قرقعة الســـلاح بينما نحن ــ كمسلمين ــ مررنا وتخطينا مرحلة حروب الكفار والأعداء وانتهينا منها بعد استتباب الأمور للاســـلام ووقف ضراوة أعدائه وقتها ، ولم يعد الأمر يستوجب ســوى تنفيذ نهج القرآن العظيم ورسوله الكريم ... بالحــوار والموعظة الحســـنة ... ؟

عفوا ! لقد أخطأت التعبير ... ان قرقعة السلاح مطلوبة اليوم فعلا وواجبة ... وان دمدمة آيات القرآن الذى يريده ان يضرب المسلمين ، تدمدم وتستصرخ قرقعة السلاح فعلا ... ولكن ؟ لتحرير القدس ثانى الحرمين لنا كمسلمين ، وكمحج للمسيحيين ايضا ، اخواننا فى الدين والوطن ، الذى يرى فيهم القران اخوة كتابيين ... فضلا عن انهم اخوة وشركاء وطن ... ان تحرير المحج لهم وثانى الحرمين لنا ، هو امر الهى يحتاج فعلا دمدمة القران وقرقعة السلاح ...

يا ويلتاه ! كم أن الأمر يثير الغثيان ويدمى القلوب عندما نشعر ونلمس أن هؤلاء قد هانوا واستكانوا ، ونسوا وتناسوا متى وأين ، وفى أية أرض يجب أن تتجه الدمدمة والقرقعة ... لكن هذا لا يثيرهم قدر ما يثيرهم بقاء من يخالفونهم فى الرأى على قيد الحيـــاة ... ولم العجب ، وهــذا شأن طلاب الحـــكم والسلطة بحجة تسيل لعـــاب البسطاء ، وتستثير مشــــاعر الأبرياء من الشـــباب ، هى حجة تطهير الاســـــلام من الكفار أمثالنا ! وهكذا انتزع السلاح والوســـيلة ووجهت الدمدمة والقرقعة بعيدا عن صدور الذين احتلوا مقدسات الاســلام والمسيحية ، وانتهكوها بكل وبأحط الوسائل ومعها البشر ...

فانتهكوا معها شرف الأرض والعرض وحق بشر وأخوة لنا مسلمين ومسيحيين ، ليس فقط ليحتلوها ، بل ليسودوا ويزيدوا من بطش قبضتهم على العالم الاسلامى والمسيحى لتسييد حكم عنصرى مستخدمين الكذب والافتراء على كلام الله لايهام الذين لا يدرسون الكتب السماوية ـ توراة وانجيل وقرآن ـ موهمين اياهم جميعا بان هذه السيادة وهذا التحكم امر الهى ؟!! .

وراح هؤلاء الأعداء يزيفون الروايات والقصص باسم الاسلام لايهام السذج من العامة ، ومن غير الدارسين ، بان هذه ارادة وأوامر الهية ، وأن علينا أن نصمت ونستسلم لارادة الله ... ! ومعاذ الله أن تكون ارادته وراء هذا التزييف الذى يدعونه باسم الكتب السماوية الثلاثة وفى مقدمتها الاسلام العظيم ...

فماذا فعل هؤلاء سواء بالقتال والفرقعة ، أو بالخطابة والدمدمة ، للرد على تلك الاباطيل والمفتريات الخطيرة وحماية الاديان والأوطان منها ... ؟

ونسأل الأجلاء المتقين من علماء الاسلام : ألا ترون كيف تتصاعد الصيحات فى غير موقعها المفروض ؟ .

ألا ترون كيف يتم جمع السلاح بعيدا عن صدور المنتهكين والمعتدين ، لرشقه فى صدور أصحاب الحق المظلومين والمؤمنين ؟ .

ان الله سوف يحاسبنا جميعا على هذا ... والتاريخ سوف يلعننا ... والعدو سوف يرقص ، كما يرقص ولا يزال ، فوق جثثنا ، ونحن نبعد السلاح عن موقعه الطبيعى ، لرشقه فى

صدور بعضنا البعض ••• وحتى استطاع ان يحول أقلامنا عن قضايا مواجهته ، الى مواجهة لاهية لبعضنا البعض ••• وحتى استطاع ان يوجه اكبر قوتين ، بعد خروج مصر المأساوى من الصف ، الى قوتين تستنزف بعضها البعض واحداهما شريكتنا فى العروبة والاسلام والثانية شريكتنا فى الاسلام ••• وكلتاهما شريكتنا ••• فى عدو واحد ••• !

استنزفتا ولاتزالان وياويل العروبة والاسلام والأوطان؟!
وهؤلاء ؟ ماذا يفعلون ؟!

ونسأل الأجلاء من علماء الدين ونتجه اليهم بالقول :

أليست هذه هى معركتهم الكبرى ، وربما تكون الوحيدة •• الحكم ••• والضرب فى صدور المسلمين •

مدوا أيديكم ، أى من تبقى منكم ••• واستجيبوا لنداء الله والضمير وأوامر الاسلام الحقيقية •••

مدوا أيديكم للنداءات الشريفة المتضرعة التى وجهها عدد من كتابنا الأفاضل من غير علماء الدين ، بل ومن بينهم من نعتبرهم علماء دين ، فكما أخرج لنا الأزهر من فرضوا على الاسلام وعلومه اسما فقط فى « السنوات العجاف ! » فلقد خرج لنا من غيره علماء فهموا الدين وتفقهوا فيه ووعوا جوهره أكثر من هؤلاء ••• ولا ننكر ان قلما لكاتب فاضل مثل عبد الرحمن الشرقاوى مثلا هو من بين علماء الدين وان لم يكن من أزهره •••

فيا كبار علماء الدين ورجاله الحقيقيون ••• هبوا فما بقى للنجدة والعودة الى الجوهر الا القليل •••

ابعدوا هذه الزخارف القبيحة والزركشات ، واكشفوا لنا عن المعدن والجوهر وهبوا للنجدة ··· ونحن جميعا أيدينا فى أيديكم ، وأقلامنا معكم ، وفى ظل رعايتكم قبل فوات الأوان ··

النداء يعلو ··· والوقت يذهب ··· والوطن والدين ينتهك ··· والصفسطة يجب أن تتوقف لتستبدل بحركة واعية ، جوهرية ، يقظة ··· النجدة ··· النجدة ·· فما بقى قليل ··· !

اللهم فاشهد ، فلست وحدى من أبلغت ···

الأسرة في الأســـلام

كان من المفروض ان يضم هـذا الكتـاب بابا عن ســوء استخدام المتطرفين للآيات القرآنية الكريمة بالنسبة للمرأة فى كل ما يتعلق بالروابط الأسرية ، بل وقد شـاركهم فى ذلك الخطأ بعض المعتدلين وغير المتطـرفين ان لم يكن بالايجـــاب فبالصمت عن الخطأ وعدم تصويبه ... مما أدى الى انتشار مفاهيم خاطئة عند العامة ، وتدهور جوهر هذه العلاقة ومعناها، وأفراغ هذه الرابطة المقدسة ــ عند الكثيرين ــ من مستواها العميق المتين ، وحولها الى صورة قبيحة مؤلمة ، وكأن الأمر مباراة فى حلبة سباق ، كل يسعى للغلبة على حساب الآخر ، وقد أدى هذا بدوره الى تفكك الأسرة وانهيارها ، وانتشرت الجهالة بحقيقة الموقف الاســلامى وأبرزته فى غير معنـــاه الســامى ومقصوده العظيم ... بل وان بعض أصحاب الأقلام من غير المتطرفين وغير رجال الدين انساقوا يتحدثون بأمور منسوبة للاســلام وهو منها براء ! .

ونظرا لأن هذا الباب كان جزءا لا يتجزأ من هذا الكتاب لأن المرأة هى عماد الأسرة والأسرة هى عماد المجتمع ، كما أنه جزء لا يتجزأ من جناية التطرف الدينى أو الجهل به ســيان ، لذلك فانى سوف أقدمه كجزء ملحق ومتمم لهذا الكتاب يصدر منفصلا بعد أسابيع قليلة ، على ان أقوم بضمه اليه فى الطبعة التالية فى كتاب واحد فمعذرة والى لقاء على صفحاته قريبا باذن الله ومشــيئته .

فيما يلى الموضوعات
المضافة فى الطبعة الثانية

الإسلام هو الحل ... ؟!

الحقيقة أننى عندما قرأت تلك الشعارات ملصقة على الجدران وأعمدة النور تحمل هذا الشعار إنتابنى شعور غريب ... لقد تصورت اننى خلقت فى أحقاب غابرة فى العصر الجاهلى ، قبل ظهور الإسلام ... وتخيلت ان رسالة الإسلام نزلت للتو على سيدنا محمد لنشرها بين العباد ، وأن الدعوة لهذا الدين الجديد قائمة على قدم وساق ، وأن الحروب قائمة بين الدعوة وبين الكفار من عبدة الأوثان ... !

وبدأت أشك فى أننى من مخلوقات هذا العصر وأننى فى عام ١٤٠٨ هجرية الموافق ١٩٨٨ ميلادية ... لأنه من غير المصدق أن أكون من مخلوقات اليوم ، وفى دولة اسلامية بإقرار الدولة ودستورها رسميا ومع ذلك يرتفع فيها مثل هذا النداء على جدرانها ؟ فلو ان النداء يقول : التصويب هو الحل ... أو تصحيح المفاهيم الإسلامية هو الحل ... لأصبح الأمر مقبولا وقابلا للجدل ، أما وقد عشنا لأجيال عديدة تبلغ حوالى الألفى عام فى ظل الإسلام ... ونذهب لزيارة قبر الرسول ، ونحج إلى بيت الله الحرام ، ونُقيم أزهرا تليدا ... ونقرأ القرآن ونصوم ونصلى ... بل وأرانى مضطرة لأن أكرر نفسى وأعيد ما جاء بهذا الكتاب فى صفحة ٣٥ منه حيث قلت أنه لأول مرة فى تاريخ مصر ذكرت المادة الأولى من دستور عام ١٩٥٦ أن مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة ، وأن المادة الثالثة من هذا الدستور تقول أن الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ... وأن أية إضافات أو تعديل سواء فى دستور سنة ١٩٧١ أو فى التعديل الذى تلاه ، حرصت

الدولة على إثبات ان الشريعة الإسلامية ومبادئها ، هى المصدر الرئيسى للتشريع .

إذن أنا لست من مخلوقات العصر الجاهلى كما توهمت ، ويحق لى حينئذ أن أتساءل عن معنى ومدلول هذا الشعارالغريب : الحل هو الإسلام ؟!

ولم أجد صعوبة فى فهم الدافع (السيكولوجى) وراء استخدام هذا الشعار المثير الرنان ... إنه لإثارة عواطف السذج والبسطاء الطيبون ... حيث أن هذا الشعار يجعلهم يتجمهرون خلفه بإحساس مفرط مؤداه أن الإسلام نفسه هو الذى يُحارب وليس المنحرفون به !! فهى خدعة كبرى ولعبة خبيثة ... تحاول جذب أنظار الجماهير والتأثير فيها لصالحهم هم ، وليس لصالح المجتمع ولا لتصويب مفهموم الدين الإسلامى نفسه ... وإنى وحتى لا أكرر نفسى أذكرٌ بما جاء فى صفحة ٤٤ من هذا الكتاب تحت عنوان : المُشـَرَّدون ... ومنه سنعرف أن الإسلام ذاته بخير وإنما مجتمعنا هو الذى لم يعد بخير ، لأن دعاة الإسلام فيه لم يعد - أغلبهم - بخير ... وأنهم مطالبون بتصحيح وتصويب أنفسهم ... وبمعرفة الإسلام بمفهومه الصحيح ... وعندئذ فقط سيمكنهم تأدية رسالتهم نحو تصويب المجتمع وتجنب إنحرافاته ..

أما عن الدولة ... فإن قولى هذا ليس تبرئة لساحتها من المسئولية والمشاركة فى أسباب الإنحراف عن جادة الإسلام وجوهره ... لكنى كما أسلفت فى صفحات سابقة لا يمكن للدعاة أن يطالبوا بالتصحيح قبل أن يصححوا ويصوِّبوا من أنفسهم ... وعندئذ تصل الدعوة إلى الحاكم وتصبح عونا له إذا أخطأ أو إنحرف ، وعندئذ أيضا سيصبح الشعب كله والأقلام كلها جنود مجندة خلفكم ... لأنكم حينذاك تدعون إلى التصحيح وليس إلى الوثوب إلى كرسى الحكم ، والعياذ بالله من شر الإنحراف والمنحرفين ... ومن شر الساكتين عن الخطأ ... شاخصين إلى أمور أخرى ... وقانا الله من أمراض النفس وشهواتها ... !

كاد المريب أن يقول ... !

إنه مثل يتبادله الناس وليس من عندى ... والمثل يقول : << كاد المريب أن يقول ... خذونى ! >> وهذا هو بالضبط ما حدث الآن ... لأن الزمن كفيل بكشف النوايا ، حتى وإن حاولنا إخفاءها أو تغليفها بكلام أو شعارات ساحرة براقة ...!

لقد بدأ هؤلاء الذين يرفعون الشعارات المضّللة يقولون أن البنوك المصرية (ربوية!) لأنها تمنح المودعين فوائد ... رغم أن الجميع قالوا إنها ليست ربوية ، وليست حرام لأنها عن أموال تدور فى مشاريع ومؤسسات كرأسمال متحرك ، وأن هذه الفوائد هى أرباح عن أنصبة المساهمين بهذه لأموال التى تدور فى مشاريع ومنشآت ...

وبدأ هؤلاء يلبسون مسوح الإسلام قائلين انهم يُنشئون بنوكا تُقرض المحتاج بدون فوائد ... ثم ، وبعد قليل ... رأيناها تُنشئ البنوك مستخدمة لغة جديدة وهى أن تمنح المودعين فوائد لأنها تستغل الأموال فى مشاريع اقتصادية ... وهنا يقفز السؤال فورا أمامنا : إذا كانت البنوك المسماه بالإسلامية تعطى الفوائد لأنها تستثمر هذه الأموال وبالتالى لا تكون الفوائد الممنوحة للمودعين حراما ، إذن لماذا قالوا عن البنوك المصرية أن أرباحها : ربوية وحرام ؟ فهل فعل طلعت حرب غير ما فعلوه عندما أنشأ بنك مصر مثلا ؟ أولم ينشئ مشاريع اقتصادية ، وُضعت فيها الأموال المودعة كرأس مال دائر ومتحرك بين العملاء وبين المؤسسات المنشأة ؟ وأن هذه الفوائد التى تدفعها تلك البنوك هى عبارة

عن نصيب الجمهور الذى ساهم فى رأس المال المتحرك فى تلك المشاريع ؟ . (١)

وقامت هذه البنوك (الاسلامية جدا !) وكذلك مؤسساتها ومشاريعها ، بإغراق البلاد طولا وعرضا بإعلانات : لا إله إلا الله محمد رسول الله ... كما أغرقت الإعلانات بصور للحجاج وابتهالاتهم مع صور الكعبة والمسجد الحرام ... وصرخت اعلاناتها بالمدائح والابتهالات ... دون أن يقولوا لنا ما هى العلاقة بين هذه الإعلانات المستغلة للدين والأقوال والإستعراضات الدينية ، وبين الإعلان عن اللحوم ومواسير المجارى وغرف النوم ...!! ودون أن يقولوا لنا ما الفرق بين أرباح هذه البنوك ، وأرباح بنك مصر أو البنك الأهلى ؟ مع أن الدولة هنا - وبالتأكيد - تستخدم هذه الأموال المتحركة فى مشاريع داخلية وفى إنشاء مؤسسات تخدم مصالح الشعب ومطالبه ، وأن الأرباح التى تُعطيها هى نصيب جمهور المساهمين فى رأس المال المتحرك هذا ... ؟

وقال البعض : على كل حال فإن هذه البنوك ومشاريعها تشارك فى حل أزمات البلاد زراعيا ... إقتصاديا ... تجاريا ... ولم تمض بضعة من الأشهر حتى تحرك المريب خطوة إلى الأمام ، وهو ما زال يستخدم (زفة) الدين بالموسيقى والابتهالات والكعبة والمسجد الحرام فى إعلانات المواسير واللحوم والأحذية ... لقد كشف النقاب عن وجهه قليلا بعد أن تمكن من أموال المسلمين الطيبين المسالمين فماذا فعل بها ؟ إنه بدأ يعلن عن مشاريع تقام ومساكن وفيلات تُبنى ... وبنوك تُنشأ ، أين ؟ خارج مصر ... وخارج الأمة العربية والإسلامية ... فى بقع

---

(١) إذا تحدثوا عن البنوك التى أنشئت خلال حكم الساادات فهى غير البنوك التى نتحدث عنها وهى مصرية صميمة والجميع يعرفونها وعلى رأسها بنك مصر والبنك الأهلى .

بعيدة جدا لم نسمع بأغلبها من قبل فوق خريطة العالم ... حتى وصلت إلى جزر الباهاما وطبعا بعد أن مرت - أولا - بسويسرا وبنوك سويسرا ؟!! إلى سويسرا معقل المهربين والمتهربين ، حيث لا تكشف البنوك بها عن أسرار الأموال التى قد تكون مسروقة ، وقد تكون مُختلسة ، وقد تكون من بيع السموم والمخدرات ... والتي قد تكون - وبالقطع - أشياء أخرى غير ذلك ...؟!

ما علاقة جزر العالم ودول لم نسمع بها من قبل بإقامة بنوك ومنشآت للتمليك وللإستثمار ؟! وما هى العلاقة بين الشعب المصرى - المسلم أغلبه والفقير أغلبه - بسويسرا وبجزر الباهاما والقصور المقامة عليها ؟ والبنوك المنشأة فيها ؟

والعرض مستمر ! ... فالكعبة المشرفة ... وطبول الإبتهالات ... ولا إله إلا الله محمد رسول الله ... لا تزال ، فالعرض مستمر ... يربط ما بين سويسرا والباهاما وما بينهما ... !

وأقول لك : إنتظر قليلا ... فليس هذا هو كل ما كشف عنه النقاب ... وقل معى : إضبط ... حرامى ... ! نعم فلا مبالغات لفظية فى هذا التعبير ... بل إنه تعبير إقتصادى ، قانونى ، وشرعى أيضا .

إننا جميعا نُؤدى ما علينا للدولة من ضرائب ، أفرادا وشركات ، ندفعها جميعا لأن الدولة بدورها تنفقها علينا فى شكل تأمينات ومعاشات للمتقاعدين ... وتنفقها فى فتح مؤسسات للمعوزين وأيضا لذوى العاهات و الأرامل ... وأيضا لتنفق منها على مشاريع الدولة ، التى هى من أجل الشعب أيضا ... أى ان هذه الضرائب هى نفسها التى كانت تُجمع وتودع فى بيت المال فيما مضى ...

إن هذه الضرائب ، المجموع منها والمُنفق ، لا يختلف عن أموال

بيت المال سوى فى التبويب والتقسيمات التى اقتضتها ظروف النمو السكانى واتساع رقعة دول العالم وغيرها من أسباب ... لكن هؤلاء : (الإسلاميون الشرفاء !) ، لم يكتفوا بأنهم هربوا بالصناعة وإنشاء المؤسسات والبنوك إلى الباهاما وسويسرا وما بينهما وما خلفهما من بقاع الأرض التـى لا علاقة لها بالمسلمين والإسلام ... بل أنهم فوق هذا وذاك ، يتهربون من دفع الضرائب لبلادهم ، هذه الضرائب التى تُعدُّ أحد أركان الإسلام الأساسية لأنها بتسميتها الحاضرة تقوم مقام زكاة بيت المال الذى منه تنفق الدولة علي أمور الشعب المسلم وغير المسلم ... الضرائب التى تنفق منها الدولة على المحتاجين والمعوزين والتأمينات والمعاشات ... إنهم طمأنوا المسلمين (المساهمين فقط !) من أن البنوك فى جزر الباهاما لن تتقاضى ضرائب على أرباح المساهمين ... أى أنهم باعوا بلادهم ودينهم عدة مرات ، لا مرة واحدة ، الأولى عند إخراجها من بلادهم وبلاد المسلمين وضرب إقتصاد دولهم وشعوبهم ، والثانية عند استثمارها فى مشاريع وقصور وفيلات وبنوك تخدم لصوص العالم وجامعى المال الحرام ... والثالة عندما هربوا حتى من دفع الضريبة التى يقوم بدفعها أفقر مسـلم عن إيراده للصـرف منهـا على ذويـه ، وإبنه أخيه ... ؟!

ولا زالت أجهزة التليفزيون والصحف تصرخ : الله اكبر لا إله إلا الله ... محمد رسول الله ...

والآن ... ؟ ليس على الذين سقطوا فى هذه الفخاخ تحت دقّات الطبول والتهليل والتكبير ... إلا أن يصرخوا معي : وإسلاماه ... ! وامصيبتاه ... !

يا وطنى أين ذهبوا بك بعد أن أكلوا لحمك وتركوك عظاما ... ؟!

هذا هو الإسلام (الجديد!) إنه ... إسلامهـم ... !

إسلام القرن العشرين ؟!

تمهل يا سيدى فأنا لم أكفر ، وأيضاً لم أبالغ . فأنا لا أتحدث عن الإسلام الذى أنزله الله على نبيه الكريم ، والذى درسناه جميعاً وتبعناه ، والذى لم أعد أراه فى أى من السلوكيات الجديدة التى تحمل إسم الإسلام زورا وعدوانا ...

وسوف لا أكرر ما عرضته فى نفس هذا الكتاب ، أى فى طبعته الأولى ، بل أقدم فقط ظاهرة لم يسبق تناولها وهى ظاهرة :

إنتقال الجامع للفرد ... وليس انتقال الفرد للجامع ... !

ان جميع النوادى الخاصة ، وجميع النقابات المهنية محاط أغلبها ، إن لم يكن جميعها ، بعديد من الجوامع التى لا تحتاج إلى أكثر من بضع خطوات للإنتقال إليها إذا أصر المصلى على أداء الصلاة بالجامع ، ولكن من علامات (الإنفتاح !) أن لا ينتقل الفرد للجامع ، بل ينتقل الجامع إليه ؟!! بل وبعضهم ، رغم حدودية العدد الذى يصلى لأنهم ممن فى داخل النقابة فقط ، نرى بعضهم يذيع الآذان بميكروفون مع ان المنطقة مليئة بالمساجد وبالميكروفون ولكنه الإستعراض ... ولا أنسى المنظر (المتكرر) فى إحدى النقابات ، حيث يفترش أحدهم حصيرة توضع خلف حاجز زجاجى لقاعة جلوس الأعضاء وهو يَسْتَرِقُ من النظر للداخل ، ليتأكد من أن البعض يراه وهو يصلى !!

ومن هنا نفهم لماذا اختاروا هذا المكان المكشوف جداً والذى هو فى طريق الداخل والخارج للقاعة ... ؟! مع أن لو انتحى أى ركن منعزل – وما أكثرها – لكان ذلك أفضل عند الله لأنه سيكون أكثر صلة وخلوة بالله فى صلاته ...

⪢ وذات يوم - وصدقونى فإنى لا أكذب - دخلت فندقاً من الذى يقال له خمسة نجوم ، وفجأة دوى صوت ميكروفون يؤذن للصلاة وبأعلى درجة ارتفاع ، مع ملاحظة انه أيضا لم يكن يوم جمعة ، وعجبت هل طردت الحكومة (الخواجات السياح !) وقلبت فندقهم إلى جامع ... وبعد جهد جهيد أدركت أن كل هذه المظاهرة هى لإسماع (السفرجية والطباخين والموظفين) عجبى ومن قال أن الله قد فرض هذه المظاهرات الشاذة ؟ ثم من قال أن علينا أن نقدم لكل واحد (جامع ترانزستور !) فى جيبه ؟ ثم من الذى قال ان الله قد فرض ذلك ؟ المفروض ترك الفرصة لكل شخص يعمل أن يصلى فى مكانه واذا لم يفرغ من عمله فليصلها (قضاء) لأن العمل وأداء الواجب هو صلاة أيضا .

بل إن أحد النوادى الخاصة قد أقام (مسجدين !) أحدهما لصلاة الجمعة والجماعة ، والثانى لصلاة الأفراد ... ولسبب ما إضطر النادى لإلغاء مكان الجامع الأول فلم يكتف بالجامع الثانى لأنه - كما قلت سابقا - لابد من ادخال التطور (التكنولوجى !) للدين وذلك بانتقال الجوامع الى المصلين وليس انتقال المصلين الى الجوامع ... وقد اقتضى هذا التوسسع والتطور عدم الاكتفاء بالمساحة الموجودة للجامع الصغير وما يحيط به ، فابتدعوا إبتكارا لوضع الجوامع فى (حِجْرْ المصلين !) فكانوا - كل يوم جمعة يستحضرون سرادقات من محلات الفراشة تُنصَبْ يوم الخميس وتفك يوم السبت ... أولم اقل لكم أنه إسلام القرن العشرين ؟ إنه ... إسلامهم ... !

أما النساء وهن أيضا مثقفات مثل أعضاء النادى من الرجال ، أو المفروض أنهن على قدر ما من الثقافة ... ولكن شأنهن أيضا عجب ! فقد أصبح من المناظر المألوفة أن تدخل إلى (التواليت) لترى سيدة

(مشعلقة) أقدامها وسيقانها فوق حوض الغسيل تؤدى الوضوء ... ومن المألوف أيضا أن ترى سيدات فى كامل (الأُبَهَه) والوجاهة والأناقة والصحة أيضا ، قد أخذت جانبا من القاعة الفسيحة بالنادى (الصالون) لتصلى ... وطبعاً دون ركوع أو سجود ... مع أن الإسلام الذى أنزله الله وعلمه لنا آباؤنا (الجهلة بتكنولوجيا إسلام القرن العشرين !) يقول بأن الصلاة بدون سجود أو ركوع أو إنحناء ، هى فقط لضرورة مرضية قاهرة تمنع المريض وتَفْقِدَهُ القدرة على الصلاة الطبيعية ... أيضا قد علمنا آباؤنا (الجهلة بالتكنولوجيا الحديثة) أنه إذا فاتنى موعد الصلاة وأنا خارج المنزل ، يمكننى أداء الفرض المتأخر (قضاء) وإضافته للصلاة التى تليها والتى تكون : (حاضرا) ولكنها (الموضة) التى نجهلها نحن المتخلفون عن حضارة (إسلام القرن العشرين !)

إنه إسلامهم ... !

ولماذا نذهب بعيداً ... ؟!

إننا ونحن فى نهايات القرن العشرين ، لا زلنا نسقط فى الشراك التى ينصبها لنا الأعداء فى الخارج ... على أيدى أعداء الإسلام فى الداخل ... فندخل بناء على إرادتهم - وليس إرادتنا - فى جدل عقيم ، خارج حلبة البحث الصحيح ، أى أننا نكون دائماً ، خارج الموضوع ! واسلوب الجدل الذى تجُرنا إليه الفئات التى تنحرف ، متخذة الدين ستاراً لحجب أهدافها ، هو نتاج خطة قد أُعِدَّت بإحكام ، لإدخالنا فى الشراك المعدة ، وإدخالنا فى متاهات خارج الموضوع جملة وتفصيلا ... وأحياناً ، بل وكثيرا ما يحدث ، أن يسقط فى هذه الشراك بعض المتدينين عن براءة وغير قصد نتيجة للإستدراج الخبيث لإلهائهم عن القضايا الحقيقية التى يجب أن نعالجها والتى يأمرنا الدين فعلا بالتوجه إليها مباشرة ... فهؤلاء الذين يضللون الشباب لو كانوا صادقين لاتجهوا مباشرة إلى طلب التصحيح ... لا إلى طلب مقاعد الحكم !!! فبلادنا لا ترفع شعار الدين البوذى ، ولا الديانة (السيخية) ولا البهائية ... بل هى بلاد إسلامية رسميا وتستمد قوانينها من الشريعة الإسلامية رسميا أيضا ... ولقد بينت ذلك فى مكان سابق من هذا الكتاب ، وهى لم تستمد قوانينها من القانون الفرنسى كما يدّعُون ... وإذن لو صدقوا كما قلت لتوجهوا - بنا ومعنا - مباشرة إلى صلب الموضوع ... وهو المطالبة بتصحيح ما قد لا يتفق مع الدين أو يحتاج إلى تعديل بسيط ليتفق تماما مع أهداف الدين ، وهنا - كما قلت ولا زلت أقول - سوف تكون الأقلام جميعاً خلفهم ومعهم ، لأن مصالحنا ومشاكلنا كشعب مشتركة ومتصلة .

ومع ذلك ، ولمجرد كشف الأقنعة الزائفة عن وجوههم ... ولمجرد إلقاء الضوء على فساد أهدافهم منذ البداية ... وأنها تماما خارج الموضوع ... سوف لا نذهب بعيداً ، وسوف نكسر حلقات النقاش المضلّلة ، بأمثلة حية ، لتجارب واقعية عاصرناها وعشنا معها وعايشناها واكتوينا بنارها ولا نزال

، رغم أن الأقنعة قد زالت عنها ... وإنى أضع على رأسها ، وأهما ، تجربتان معاصرتان للدولة الدينية :

الأولى هى : إسرائيل ، أما الثانية فهى إيران . ومن خلالهما سنكشف ونكتشف ، أن الدين لم يكن إلا قناعا لستر أهداف أخرى لا علاقة لها بالدين ، ولا للدين علاقة بها ...

إن الذى يعرف والذى لا يعرف ، والذى يقرأ ويبحث أو الذى لا يقرأ ولا يبحث ، إنما يعرف ، ونعرف جميعاً أن اسرائيل عندما أقيمت على أرض مغتصبة ، لم تقم أصلا على دعاوى سياسية ولا جغرافية ، كما أنها لم تغتصب أيضاً إغتصاباً عشوائياً ، إنما هى أصلا وأساسا - وبصرف النظرعن صحتها أو زيفها - قد أقيمت على دعوات وصرخات ونظريات دينية من البداية وقبل البداية ، فقد رسم الغاصبون الأوائل استراتيجية علمية مدروسة ومبرمجة ، طويلة الأجل ... يُسلمها كل جيل من اليهود إلى الجيل الذى يليه ... وبمعنى أوضح ان الصرخات والدعاوى الدينية - والتى كانت مؤسسة على تزييف لمعانى العديد من الآيات الواردة فى الكتب السماوية الثلاثة - لم تكن فى الواقع سوى القناع الخارجى لجعل الدعوى تبدو **(إلهية مقدسة !)**

أما حقيقة الأمر ، والتى يعرفها تمام المعرفة كل من درسوا الخطط الاستراتيجية والتاريخية للصهيونية العالمية ، فقد كانت : **دنيوية لا دينية** ... وأقدم مثلا بسيطا لا يحتاج إلى درس أو تعمق يؤكد ذلك ويؤكد أنهم يتبعون خططا استعمارية رُسمت بدهاء وتبجح ، ألا وهو استغلالهم للدين - شكلا - لتثبيت الاستعمار ، والتسلط والاستيطان - موضوعا - **حيث جعلوا جنسية اليهودى لا تتبع الدولة التى ينتمى إليها الفرد أبا عن جد ، بل جعلوا الجنسية تتبع الدين ...!؟ بمعنى أن أى يهودى الدين فى أى بقعة من العالم هو : (إسرائيلى الجنسية !!!) وهذا**

أول خيط نكتشف منه أن اللعبة الدينية هى فى خدمة الفكرة المدنية وليس العكس أى أنها ترفع عقيرتها بصيحات دينية ، تُسخر فيها الحجج المزيفة دينيا ... لخدمة إستعمارها مدنيا ... !

وثمة دليل آخر على أن الدعاوى الدينية بالنسبة لفلسطين هى مجرد قناع زائف ، هو أن رغبة تلك الشرذمة أول ما بدأت بهدف السيطرة لحكم وإمتلاك العالم كانت تخطط للإستيلاء على أوغندا لإقامة ما أسموه بإسرائيل أو على دولتين أخريين لا أذكر إسميهما الآن ولم يكن آنذاك قد ورد ذكر فلسطين فى مخطط الإستيلاء ...

وهذه أيضا تؤكد أن كل ما أثاروه من تمثيل درامى متقن وروجوا له على ملإ من العالم ، وكل ما رفعوه من شعارات زيفوا فيها معاني وتفسير بعض الآيات المقدسة بالكتب السماوية ، إنما هى فقط للتأثير بها على عقول غير الدارسين والباحثين فى حقائق الأديان ومعانيها ... وكذلك البسطاء الذين تؤثر فيهم أى دعوة تحمل اسم الدين ، حتى وإن كانت زائفة ومخالفة كل المخالفة لمعنى النص ... بينما الحقيقة هى أن أى شخص يتعمق فى مسار تغلغلها الفعلى : - فلسطينيا أو عالميا - يعرف حتى بدون مراجعة لمقولاتهم المزيفة دينيا ، انها دعوة مدنية فى جوهرها لدولة جرثومية ، أُنشئتْ من العدم لتُطَبقَ قبضتها بواسطة حكومة عالمية - تحت الأرض - كى تحكم العالم لصالح الشرذمة التى تتوارث الحكم على مدى الأجيال ، من خلال الحكومات الظاهرة رسميا .... والتى تظن أنها تحكم نفسها بنفسها ... ولصالح بلادها وشعوبها ... بينما هى تُنفذ مخططات الحكومة الخفية ، وتسهل عملية تحويل العالم إلى قبضة الاخطبوط الذى استخدم الدين قناعا ليخفى خلفه نواياه الإستعمارية الباطشة ...

وهى - أى إسرائيل - من ناحية التفسير العلمى والمنطقى ، تستشرى وتنتشر بنظرية غير سوية تعتمد على إزدواج الشخصية ، ولكنها رغم ذلك تتوافق مع نفسها ومع أهدافها ، فهى تتمسك بالشعارات التى تزيفها دينيا

، بينما هى تتوسع إستعماريا ومدنيا ... وهذا الاستخدام الذى نجد في مخططاتهم (الاستراتيجية) السرية ، ضرورى رغم تناقضه المسيحية فى أوروبا بالطرق المشروحة فيها ، وكذلك ضرب الإسلام ، لتسييد وهيمنة الدين اليهودى ، إنما هو وسيلة فى الدرجة الأولى وليس هدفا لذاته ، فالشعور باليهودية والتفرد بها ، إنما هو صمام أمن ووسيلة أساسية لنشر الدعوة بسهولة تحت الشعارات المؤثرة روحيا ، لتسهيل عمليات الاستعمار عالميا ، والقضاء على كل من يقف فى سبيل دعوتهم ، بالتزييف الدينى ... وهو أيضا وسيلة لتجميع اليهود فى كل أنحاء العالم حول نفس الهدف تحت الشعارات الدينية والروحية ضمانا للسرية وحتي لا تكون فى أيادٍ غير يهودية ... ولذلك فهم متفقون مع أنفسهم رغم التناقض والإزدواجية ، فالشعور الدينى ونشره هو وسيلة للسيطرة العالمية وليس هدفا ...

وهذا يبين السر فيما نسمعه بين الحين والحين من حدوث تصادم مع عدد قليل من اليهود المتطرفين دينيا ومنهم قلة من الحاخامات ، حيث أن القادة والحكام يعتبرونهم بلهاء ! فالطقوس الدينية وأوامرها التى تثور من أجلها القلة المتطرفة هناك ، لا محل لها من الاعراب !! لأن شعار الدين المرفوع بهذه السطوة والعنف ، إنما هو يُشْهَرُ من وجه غير اليهود ، وليس لليهود أنفسهم ... فلا محل للدين حين يعرقل قفزات الإكتساح ... والإجتياح ... والاستعمار ... والاستيطان ...

بل وهناك دليل آخر فى منتهى القوة يؤكد أن الدين هنا وسيلة فقط ،و خطة مؤقتة للتستر ،وهذا الدليل قد خفىّ حتى على كثير من الباحثين ، ذلك هو إختيارهم لروما ، عاصمة إيطاليا - على المدى البعيد - لتكون فى آخر المطاف مقرا لبابوية حاخامية بعد ضرب الفاتيكان والإستيلاء عليه ... ومقر - كذلك - لإمبراطور عالمى يهودى ...

وقد يسأل سائل عن الكيفية التى زيفوا بها بعض المعانى للآيات المقدسة فأجيب بأن شرح ذلك يحتاج إلى كتاب منفصل وليس محله هذا الكتـاب ولكن دعونا نتجه مباشرة إلى صلب موضوعنا ، وهو أن الدين - هنا - قد تم رفع شعاراته التى بنيت جميعها على التزييف ،ليكون وسيلة فقط ، فالدين ليس غاية لذاته .

ولننتقل الآن للحالة الثانية - إيران - التى رفعت شعارات الدين الإسلامى تَستُّرا ، لجذب الأتباع وتوسيع رقعة الهدف ، الذى هو إستعمارى محض ... وأكبر وأقوى دليل على ذلك هو أن الإسلام السائد هناك تشوبّه رِيَبٌ عديدة تصل الى حد التناقض مع الدين الإسلامى وأسسه العقائدية نفسها ... وهذا بحث ليس محله هذا الكتاب ، أولا لأنه نوقش من أهل الإختصاص من رجال الدين فى أغلب أنحاء العالم العربى والإسلامى ، ولأن انحرافاتهم المناقضة لأسس الدين تناولتها الأقلام وعرفتها الغالبية العظمى ... بل إننى سمعت بنفسى من إذاعة طهران ، بعض الشعارات تصف الخمينى بإعتباره هو ... الإله ذاته ؟؟! كما وصل الأمر بأنه - استغلالا لإسم الدين - يمنح الصبية صكوك دخول إلي الجنة ليدفع بهم إلى الحرب ... فأى تضليل يُمارسُ باسم الإسلام أكثر من ذلك ؟! .

والسبب الثانى هو اننى فى هذا الكتاب لا أناقش الفقه ومخالفاتهم فيه ، وإنما أناقش جزئية استخدام الدين كوسيلة وستار ...

إذن فإيران - الخومينية الآن - هى أيضا يُطلق عليها : الدولة الدينية ، والفارق الوحيد بينها وبين إسرائيل هو أن المدنيين فى إسرائيل يقومون بعمليات الإكتساح والإستعمار رافعين شعارات وأقنعة الدين لدرجة أن الحاخامات - على العكس - كانوا فى خدمة الإكتساح مدنيا، وكانوا أدوات البطش والإرهاب مدنيا ، وفى خدمة أجهزة المخابرات السرية والعلنية أيضاً ، لتحقيق الإستعمار العالمى ، تحت ألوية وشعارات الدين ، بينما

الثانية - إيران - ترفع ألوية الدين وتُحكم مباشرة بواسطة الآيات (١) ... لإكتساح أجزاء كبيرة من العالم أى الإستعمار العالمى ، بالبطش المباشر من الحكام الدينيين ...

وإذا استثنينا الإختلاف فى الشكل ، سنجدهما متفقتان فى المضمون ؛ لأن الأولى إستعمار مُقَنَّعٌ بالدين ، والثانية استعمار يحكم بالدين ومع ذلك فهو أيضا مفرغ من مضمون الدين ... لأن الإسلام الذى ترفعه الخومينية ، هو مخالف للدين ، فهو إذن مُقَنَّعٌ بالدين للجذب والإنتشار فقط ...(وبالتالى فهما متفقتان موضوعيا وإن إختلفتا شكليا .

ولا يفوتنى قبل أن أنتهى من هذا الباب ، أن الدولة العربية السعودية ، رغم أنها شرُفَتْ بهبوط الرسالة الإسلامية على أرضها ... ورغم أنها أكثر الدول تشددا فى إسلامها ، إلا أنها - وعلى مدى التاريخ - تُحكم مدنيا ، لأن رجل الدين إن حكم لا يعدل ، فالدين هاديا وموجها ومرشدا ، ورجل الدين لا يؤَلَّه لأنه بشر يخطئ ويصيب . وليس هذا مدحا ولا ذما للعربية السعودية كدولة ونظام ، لأن هذا خارج عن إطار البحث ، لكننى أتعرض لجزئية تتعلق بموضوع هذا الكتاب فقط ، وهى أن الإسلام هناك - سواء تطرف أو إعتدل - فهو إسلام لا يستقطب باسم الإسلام ، ولا يحكم برجال الدين . وهو أيضا - وهذا قد فحصته وشاهدته بعينى ولم أقرأه فى كتاب - إسلام بغير هزعبلات ... بغير خرافات ... بغير مباذل ومساخر ... بغير (بوتيكات) تتجر بالإسلام ...

ولكنهم هنا يريدون أن يحكموا بأنفسهم مباشرة ، فتكنولوجيا إسلامهم (المودرن !) لا تكتفى بالبوتيكات ... ولا تكتفى بحكم الشارع ... بل تريد إمتلاك القطاع العام ... والدولة ... لتُضم إلى شركات توظيف الأموال ...

---

(١) الآيات هى ألقاب رجال الدين مثل المشايخ أو الأئمة عندنا

ما هو دور الدولة ؟

لو قلت ان الدولة لا تُحارب الإنحرافات باسم الدين ، لوجدتنى أظلمها ، لأنها تُنزل أشد العقاب وتقطع الرقاب ... وإن قلت أنها تُحاربها وتقطع دابرها ، فإنى بذلك أظلم عقلى وأسخر منه ... !

وهكذا أجدنى فى حيرة : أى الأوصاف إذن يمكننى إطلاقه عليها فى مثل هذا الموقف الغريب ؟

ورغم أننى لا أؤمن بالخبراء الدوليين وأشك فى نواياهم ، ورغم إعتقادى أن لدينا كل الخبرات المطلوبة لكن الأمر مجرد : (عمى بصر وبصيرة !) إلا أننى فى هذه النقطة بالذات أود لو جئت بخبراء العالم كله لتوضيح هذا الأمر المتناقض : كيف تكون حكومتى ، أو دولتى ، منضبطة ومتسيبة فى آن واحد ؟! .

وبينما أنا أجلس حزينة أفكر فى كيفية إباحتى لإستخدام الخبراء العالميين بعد هذا العمر الطويل الذى كنت خلاله ضد إستجلابهم ؟ وفجأة ... وباعتبارى عجوز شمطاء ... عاصرت العديد من الأحداث ، وخبرت قوانين البلاد السابقة واللاحقة ... وعرفت كيف كانت الدولة فى عصورها الغابرة ، تعرف تماما المثل القائل : « ومعظم النار من مُستصغر الشرار » ...

وتعرف أنه إذا تُركت القمامة مكدسة فى عدة بُؤَرٍ وظلت أسابيع تتوالد فيها الميكروبات ، ثم البعوض ، ومنه قد ينتشر الوباء ...

وأنها كانت تعرف أن طريقة <<شرشر>> المستوردة هي (مقلب !) للتجهيل ، سيجعل أطفالنا يتخرجون من الجامعات وهم لا يفقهون حتى طريقة تركيب الأحرف فى جملة ...

وأنها كانت تعرف أن الصمت عن تنفيذ القانون ... هو ضرب لهيبة القانون ... وأنه بابٌ يُفتح (عمداً) لعملية «شيِّلني و أشيِّلك !» .

وأنهـا كانـت تعـرف ان من يقيم جامعا ، تماما مثل من يقيم كنيسة ... يخضع لقواعد ولوائح وقوانين تتعلق بأشياء كثيرة ، وتُنظمها عملية (هارمونية) منٌسقة إسمها : الكثافة السكانية وضوابطها ... وأن غير ذلك وهو : الموضة الجديدة وإسمها الحقيقى : العشوائية ... قد تُصبح قانونا غير مكتوب ... قد تُرتكب الفضائح باسمه ومنها (الإستهبال !) باسم الدين لاغتصاب الحوارى والأرصفة والأركان ، الملاكى ... ! واغتصاب الشواطئ وما تحتها (مفيش مانع !) وكله لله وباسم الله ...!

وأنها كانت تعرف أنه حتي فى الدول الرأسمالية التى تسيطر عليها الصهيونية ، كأميركا وبريطانيا وغيرهما ، توجد قوانين تُحدد سلطة رأس المال وتضع له بعض القيود حتى لا يُصبح (فى يوم وليلة !) هو الذى يحكم الدولة ... وأيضا باسم الله وباسم الدين ...

وأنهـا كانت تعـرف أن إدارة الجمعـيات والتعاونيات (بطريقة اليوم !) فإنها تكون (للتهليب !) وأن الجمهور (المدعوم إسما فقط) لا يحصل على شئ ...

وانها كانت تعرف أن الحل موجود فى : (إغلاق المنافذ والأبواب) وليس فى إغلاق مؤسسات القطاع العام ...

وأنها كانت تعرف أن الأصوات التى تُطلق الصيحات : (إغلقوا الشركات الخسرانة ... وإلغوا الدعم) كانت تنطلق لخدمة الذين (خربوها !) لفتح شركات خاصة ... دون عقاب لهم أو جزاء ...

وانها كانت تعـرف أن الذى يسـرق إضاءة تساوى لمبة كهرباء

واحدة ، يمكن أن يسرق كل أسلاك الدولة لعمل الأفراح وكذلك الموالد التى يُهْدَرُ فيها الدين باسم الدين ... وأن يسرق لإضاءة جميع (أكشاك) القاهرة والأقاليم ... وأن يسرق من عواميد النور لكل الإعلانات ... بل ويمكنه حتى أن يحفر الشارع ويمد الكابلات للنور ... وللمياه ... أيضا ... ويقال لأمثالك وأمثالى إننا : مدعومين ؟!!

أقول أننى عندما استرجعت كل ما مضى من سلوكيات الدولة ... باعتبارى <<عجوز شمطاء>> عاصرت كل ذلك وعرفته ، ثم قارنته بما تسرب من قوانين (غير مكتوبة !) جعلت العشوائية هى قوانين الدولة ...عندئذ فقط وجدت التفسير الذى كنت سأستدعى الخبراء العالميين لإستيضاحه منهم ... وعرفت لماذا لا يمكننى أن أتهم الدولة بالتسيب وعدم الإنضباط ، لأنها تهب فجأة من النوم لتضرب بالسياط وتقطع الرقاب ...

وأهم شئ عرفته من سلوكيات الدولة عندما تهب فجأة من النوم فتضرب وتقطع الرقاب ، هو شدة إنطباق المثل القائل : «إبنى فى إيدى ويَدْوّر عليه !» لأنه أمر طبيعى عندما تصحو الدولة من النوم فجأة تُصاب بالهلع ، وتظن أن إبنها (مش فى حجرها !) فتضرب بالسياط وتستدعى الخبراء من كل أنحاء العالم للبحث عن إبنها «الذى هو فى حجرها» ...

وأخيرا أيضا عرفت لماذا لا يجوز أن نضرب المنحرفين باسم الدين أو بغيره ...

لأن الذى يحكم الشارع ... يحكم الدولة ...

أيها الكتاب صحِّحوا مصطلحاتكم

إنى في هذا الباب أناشد الكُتّاب وحملة الأقلام بأن يلاحظوا أمرا جوهريا ، وهو أننا لا نكتب - فقط - للقراء المثقفين أو المُستنيرين بل أن هناك فئات أخرى عريضة هي أضعاف أضعاف من يفهموننا بسرعة ومن يفهمونها (وهيّه طايرة !) .

فهناك فئات تقرأ وتكتب ولكنها لا تتعمق ولا تبحث ، وهناك من يكتفى بالعناوين ... وهناك فئات (تفك الخط) ، وهذه الفئات جميعا ، وهى تكوِّن الأغلبية الساحقة من الشعوب ، يجب أن نزن الكلمة قبل كتابتها على قدر سمعهم وفهمهم لها ... وليس على قدر ما نقصد إليه نحن حين التوجه إليهم بالكتابة ...

فسيكولوجية المتلقى أمر يحتاج إلى تقمص فكرهُ وأسلوب تلقيه لما نقول ، وليس لما يدور فى عقولنا نحن وما نقصد إليه حين نكتب ...

إن ما وصل إليه سوء الحال فى استخدام الدين ، وفى نشر المخازى والمساخر والخزعبلات باسم الدين ، جعل بعض الكلمات التى نستخدمها فى الجدل والكتابة لا تؤدى إلى المعنى المقصود منها ، بل والأمر الخطير الذى لا يشعر به أصحاب الأقلام هو أنها أصبحت تؤدى إلى عكس ما نقصد إليه تماما !

فعندما نستخدم كلمات : (الإسلاميون) أو : (المد الإسلامى) ، أو : (التيار الإسلامى) كى نصف بها الأفراد أو الكُتّاب أو الجماعات الخارجة على الإسلام باسم الإسلام ، يحدث رد فعل خطير لدى فئات القراء الذين ذكرتهم آنفا ، إذ أن هذه الفئات - لبساطتها وسذاجتها أو لعدم قراءتها سوى العناوين - تتوهم فورا أن هذا القلم ، أو هذا الكاتب

، هو ضد الإسلام نفسه !! فيحدث لهم رد فعل فورى بازدياد التمسك بمن وصفناهم بالإسلاميين والإيمان الأعمى بما يقولون بحالة من (العناد !) وليس بالإقتناع ... لأنهم فى الحقيقة ضللوا القارئ البسيط إذ أن الإسم الفعلى لهؤلاء هو : (اللاإسلاميون !) فنحن بهذا الخطأ فى استخدام الإصطلاح أو التسمية ، إنما نساعدهم على نشر ضلالاتهم - دون وعى أو إرادة - بدلا من كشفهم ومحاربتهم ، ذلك لأن الكتابة - كما قلت - لا تُوجَّه للمتخصصين وحدهم ، بل تقرأها الجماهير العريضة أيضا ، والمفروض أننا نوجه أقلامنا وأفكارنا لهم أولا وثانيا وثالثا ، لأنهم المستهدفون بالتضليل ... ثم بعد ذلك نوجه أقلامنا للمُتخصصين الذين نحارب أفكارهم ... نحن نحاربها من أجل من ؟ ولحساب من ؟ من أجل هؤلاء الذين ليسوا من المتخصصين ولحسابهم ، لأن هؤلاء يعتمدون على جدل الطرفين المؤيد والمعارض معا ، دون أن يكونوا طرفا فى الجدل ، وانما هم فقط الطرف المتلقى . فإذا تصدّت الأقلام لهذا التيار كى تكشف تضليله ومغالطاته وهي تستخدم عبارات : (الإسلاميون) أو (المد الإسلامى) أو (التيار الإسلامى) فإنها تذهب للطرف المتلقى غير الدارس ، والذى تتكوّن منه الغالبية العظمى ، بأثر نفسى معكوس ومغاير تماما لما نقصده بتلك الكلمات ، وهنا يعتقد - جهلا منه أو خطأ - أن الإسلام كدين هو الذى يتعرض للنقد !! ويحدث لهذا المتلقى - كما أسلفت - رد الفعل وتتقمصه حالة (العناد !) أى سلوك بالمخالفة ... ومن هنا تستشرى المناظر والأشكال التى نراها تملأ الشوارع والمنحنيات والأرصفة ... لأن كل ما يفهمه ويتلقاه من هذا الجدل هو بعض العناوين والمصطلحات ، ولا يفهم منها إلا أنك تحارب : (المد الإسلامى أو التيار الإسلامى أو الإسلاميون) .

وهنا يتلقف هؤلاء البسطاء ، الجموع والفرائق التى أخطأنا تسميتها ، بإعتبارهم : المنقذون للإسلام !! ويتحقق لهم الغرض المنشود وهو الإنتشار بين الجماهير العريضة إنتشارا كميا لا كيفيا ... وتُصبح هذه الجماهير وتزايدها (الكمىُّ) هى الأداة التى توصله إلى هدفه المنشود ... ألا وهو : السُلطة ... وليس التصويب ...

لقد أحصيت العديد من التعابير التى يستخدمها الكُتَّاب والتى يمكن للمتلقى البسيط أن يفهمها على عكسها ، فوجدتها كثيرة متعددة ، بل أقول أكثر من ذلك أن كلمة : التطرف الإسلامى وما شابهها ، لم تعد منطبقة على الأغلبية ولم تعد صحيحة ، إذ أن الكثير مما نشاهده ونلمسه من صور فردية مخالفة للدين ، والتى تستعرض نفسها بأساليب تهريجية مؤذية ، لا يمكن أن نسميها تطرفا ... بل أنها أصبحت إنحرافا ... فضموا الصفوف ودققوا فى دراسة نفسية المتلقى وبراءة بعضهم وسذاجة البعض الآخر حتى ننقذ أسرنا ومجتمعاتنا مما وصلت إليه من إنحراف بشع باسم الدين أحيانا ... وهربا من الإنحراف الدينى الى العكس أحيانا أخرى ، وهو ما قدمت له وصفا بصفحة ٤٤ تحت اسم : المشردون ...

كتب صدرت للمؤلفة

- « الدمـــاء ... ! »
- « الفكر فى المرآة ... »
- « غضبة ملكية فى أرض الرسول »
- « جسر من الأوهام ! »
- « ومن الذى يبرئ عبد الناصر ؟ »
- « البشرية فى خطر ... ! »
- « هذا هو إسلامهم ! »

طبعة أولى

- « الأمة العربية على شفا من الهاوية ... ! »

كتب تحت الطبع

- « الأمة العربية على شفا الهاوية » الجزء الثانى
- « الأسرة فى الإسلام »
- « الرئيس ... ؟ »
- « مذكراتى عن الصحافة »
- « سيكولوجية الرجل ! »
- « الباقية الحزينة ! »

ديوان شعر

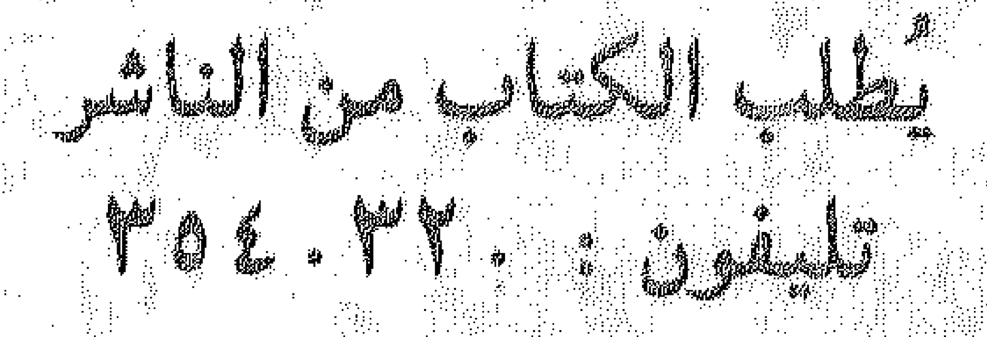
أخطاء مطبعية

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
المأمنون	المؤمنون	٩	٧
نصوص	نصوصا	١٠	٧
من خلايا	مشيخة تولد	٤١	الأخير
النوايا الطيبة	ومشيخة تورّث		
وتن	وثن	٧٤	٧
الغد	الغض	٩٣	١٠

لعدم وجود التشكيل لزم التنويه الى بعض الكلمات التى قد يحدث غياب الشكل لبسا فى قراءتها وهذا بعضها :

		الصفحة	السطر
نعرف	بضم النون وتشديد الراء وكسرها	٨	٧
اطر	بضم الألف	١٠	١٤
وتعلة	بكسر العين وفتح اللام وتشديدها	٢٩	١٨
امرتهم	بكسر الألف وتسكين الميم	٣٦	٦
غلت	بضم الغين وفتح وتشديد اللام	٣٦	١٧
كمسا	بتشديد الميم مع فتحتين	٣٧	٢٠
الكتاب	بشد التاء وفتحها	٤٠	١
يدمى	بضم الياء	٤٠	٤
يفجع	بضم الياء	٤٠	٤
المشردون	بفتح وتشديد الراء	٤٤	٤
يعدون	بكسر العين وتشديد الدال	٤٩	١١
يعاقب	بضم الياء وفتح القاف	٧٦	٢٣
يفرط	بفتح الفاء وكسر الراء وتشديدها	٧٦	٢٤
ان	بكسر الألف	٧٧	٦
تهود	بشد وفتح الواو	٨٧	١٠
هودته	بشد وفتح الواو وتسكين الدال	٨٧	١٣
انتزع	بشد وفتح الواو وتسكين الزين	١٠٠	٢٢
وجهت	بضم الواو وكسر وتشديد الجيم	١٠٠	٢٢
استنزفتا	بضم التاء وتسكين النون	١٠٢	٧
فرضوا	بضم الفاء وكسر الراء	١٠٢	١٦

فهرس الكتاب



يُطلب الكتاب من الناشر
تليفون : ٣٥٤٠٣٢٠

الثمن : بالداخل جنيهان
بالخارج دولاران أو ما يعادلهما